فيض الكريم

فـــي أسرار الخواتيم

إعداد

د/ كرم معروف محمود معروف

كلية الدراسات الإسلامية والعربية - للبنين بالقاهرة

قسم أصول الدين، شعبة التفسير وعلوم القرآن

جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية

١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

فيض الكريم فـــي أسرار الخواتيم

كرم معروف محمود معروف
كلية الدراسات الإسلامية والعربية، للبنين بالقاهرة، قسم أصول الدين، شعبة التفسير وعلوم القرآن، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.
البريد الإلكتروني: karam_marouf75@ azhar.edu.eg

الملخص:

يتناول البحث نوعاً من أنواع علوم القرآن الكريم وهو(خواتم السور)، وما اشتملت عليه من أسرار ولطائف، وعبر وعظات، وقد تناولت بالدراسة خاتمة خمس عشرة سورة، وقسَّمتُها إلى أربعة أقسام –حسب ما تتحدث عنه– وكل قسم تحته أنواع، واضعاً عنواناً لكل قسم ونوع لتسهل دراستها وتحليلها، وظهر من خلال البحث أنَّ هذه الخواتم قد تنوعت كتنوع فواتحها فجاءت أنواعاً عدة بين أدعية ووصايا وفرائض وتحميد وتهليل ومواعظ ووعد ووعيد، وكانت مع تنوعها تحمل أسمى المعاني وأنبلها، وأنَّ جميعها أتت على أحسن الوجوه وأبلغها وأكملها، وتميزت كما تميزت فواتحها بدلالات ومعاني وإشارات محققة أهدافها في مخاطبة البشر، مبينة لهم حِكماً ومواعظ، داعية لهم بالهداية والاستقامة، مبشرة ومنذرة.

الكلمات الافتتاحية: فيض، علوم، القرآن، خواتيم، السور

The generous flood in the secrets of the rings

Karam Maarouf Mahmoud Maarouf

Faculty of Islamic and Arabic Studies, for Boys in Cairo, Department of Fundamentals of Religion, Division of Interpretation and Quranic Sciences, Al-Azhar University, Egypt.

Email: karam_marouf75@ azhar.edu.eg

Abstract:

The research deals with a type of science of the Holy Qur'an, which is (the rings of the surah), and what it included of secrets and subtleties, and through sermons, and the study dealt with the conclusion of fifteen surahs, and divided them into four sections - according to what you are talking about - and each section under it types, putting a title for each section and type to facilitate its study and analysis, and it appeared through the research that these rings have varied as a diversity of their openings, so several types came between supplications, commandments, statutes, praise, lullaby, sermons, promise and promise, and they were with their diversity bearing the highest The

meanings and the noblest of them, and that all of them came in the best and most complete faces, and were distinguished as they were characterized by connotations, meanings and signs that achieved their goals in addressing humans, showing them wisdom and sermons, calling them for guidance and righteousness, promising and foreboding.

Key Words: Fayd, Science, Qur'an, Khawatim, Surahs

تقديم:

الحمد لله الأول الآخر، الظاهر الباطن، الأزلي القديم، الذي لم يزل موجوداً بصفات الكمال، ولا يزال دائماً مستمراً باقياً سرمدياً بلا انقضاء ولا انفصال ولا زوال، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد (ﷺ) أول المسلمين وخاتم النبيين والمرسلين، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد

فإن أجلَّ علم صُرفت فيه الهمم، علم الكتاب المنزل، إذ هو كلام الله تعالى الذي :﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[1] ، وهو المعجزة العقلية الباهرة التي أيَّدَ الله بها خير خلقه (ﷺ)، وهو حجة الله البالغة على خلقه، تعبدهم بتلاوته وتدبره وفهمه والعمل به، وأطلعهم من خلاله على بعض أسراره في ملكه وملكوته.

ولقد انزل الله (ﷻ) كتابه الكريم في أوجز لفظ وأعجز أسلوب فأعيت بلاغته البلغاء، وأعجزت حكمته الحكماء، وأبكمت فصاحته الفصحاء، وأحكمت آياته مع فواصله، وحسن ارتباط أواخره بأوائله، فلا يستطيع أحد من الخلق مهما أوتي من الفصاحة والبلاغة وقوة البيان أن يأتي بمثلها أو يفكر في محاكاتها.

والله (ﷻ) سجَّل عجز الإنس والجن عن محاكاته أو الإتيان بمثله حين قال: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[2]

(١) سورة فصلت ٤١ الآية ٤٢

(٢) سورة الإسراء ١٧الآية ٨٨

لهذا جمع المسلمون الأوائل كل قواهم، وكرَّسُوا جُلَّ حياتهم لخدمة هذا الكتاب العظيم، ولم يدَّخِروا جهدًا في حفظه وتدوينه، وتفسيره، واستنباط أحكامه، والتنقيب عن لطائفه وأسراره، والعمل به والسير على نهجه في عباداتهم وعاداتهم ومعاملاتهم، فتركوا تراثًا خالدًا زخرت به المكتبات في مشارق الأرض ومغاربها.

وتلمساً لخطوات هؤلاء العلماء والسير على دربهم أعددت هذا البحث في نوع من أنواع علوم القرآن الكريم وهو (خواتم السور)، حيث إنَّ هذه الخواتم قد تنوعت كفواتحها فجاءت أنواعاً عدة بين أدعية ووصايا وفرائض وتحميد وتهليل ومواعظ ووعد ووعيد، وكانت مع تنوعها تحمل أسمى المعاني وأنبلها.

فهي: "حيناً دعاء وابتهال يحمل النفس الإنسانية إلى عالم روحي سام، يعترف فيه الإنسان بعجزه أمام قدرة الله، ويطلب من هذه القوة القاهرة أن تعينه وأن تنصره، كما في ختام سورة البقرة، وحيناً حديث عن الله بإجلاله وتقديسه، أو بتعداد صفاته الباعثة على حبه وإجلاله معاً كما في ختام سورة المائدة، وفي أحيان كثيرة تختم السورة بما يشعر بأن القرآن قد أدى رسالته، فعلى السامع أن يتدبر الأمر، ليرى أي الطريقين يختار، والختم بذلك يبعث في نفس القارئ التفكير أيؤثر الهدى أم يختار الضلال، كما في نهاية سورة التوبة. [1]

وفي هذا البحث الذي سميته : (فيض الكريم في أسرار الخواتيم) أتناول بتوفيق الله تعالى بعض تلك الأنواع بالدراسة لنقف على بعض

(١) من بلاغة القرآن المؤلف: أحمد عبد الله البيلي البدوي صفحة ١٨٤

أسرار هذه الخواتم متأملين متدبرين عظمة وبلاغة كلام رب العالمين، وأسأل الله تعالى العون والسداد.

أسباب اختياري لهذا الموضوع وأهميته:

١- أنَّ موضوع خواتم السور من الأهمية بمكان حيث إنَّ نهاية الكلام على وجه العموم هو:" آخر ما تسمعه الأذن، ويرتسم معناه في الخيال، فإن كان حسناً هفت إليه النفس، واستلذه السمع، وقد يكون جابراً لما عساه قد وقع من نقص أو تقصير، وإن لم يكن الانتهاء حسناً رائعاً كان الأمر على العكس من صدوف النفس ونفورها، واستكراه السمع ومجه، وقد ينسي ذلك ما تقدم من محاسن الكلام، فيعود السامع أو القارئ على مجموعه بالذم وإن كان حسناً ". [١]

ولما كانت جميع خواتم سور القرآن قد جاءت على أحسن الوجوه وأبلغها وأكملها درجة من درجات البلاغة والفصاحة والإعجاز، مع التفنن في الأسلوب وبراعة الانتهاء وحسن الختام فقد أردت بيان ذلك من خلال هذا البحث.

٢- ما امتنَّ الله (ﷻ) به عليَّ من كتابة بحث في فواتح السور وعنوانه: (نـــور البيـان فـي أسرار فواتح سور القرآن)[٢] ، فأردت أن تكتمل هذه المنة بالكتابة في خواتيمها حتى يظهر- إن شاء الله- ما فيها من أسرار وعبر، وأنَّها جاءت في الحسن مثل فواتحها، مع مناسبتها ومطابقتها لها أيَّما مناسبة، وفيها من الحلاوة والطَّلاوة ما فيها.

---

(١) المنهاج الواضح للبلاغة المؤلف: حامد عونى ١٧٧/١ ، وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح المؤلف: عبد المتعال الصعيدي ٧١٣/٤

(٢) بحث منشور بحولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة جامعة الأزهر العدد الثلاثون سنة النشر ١٤٣٤ هـ- ٢٠١٣هـ

وهذا ما أشار إليه الزركشي حيث قال: " وهي مثل الفواتح في الحسن لأنها آخر ما يقرع الأسماع فلهذا جاءت متضمنة للمعاني البديعة مع إيذان السامع بانتهاء الكلام حتى يرتفع معه تشوف النفس إلى ما يذكر بعد". (١)

٣- أنني لم أقف – بعد البحث والتحري- على دراسة تناولت موضوع خواتم السور بالدراسة والتحليل، غير ما ذكره الإمامين الجليلين الزركشي والسيوطي من ذكرهما لهذا النوع إجمالاً في كتابيهما ضمن موضوعات علوم القرآن، فجاء هذا البحث لإلقاء الضوء على ما اشتملت عليه هذه الخواتم من أسرار ولطائف، وذلك من خلال دراسة لبعض أنواعها بالبيان والتفصيل، حسب ووردها في المصحف الشريف.

خطة البحث :

وقد قسَّمت البحث إلى : **تقديم**، **وأربعة فصول**، **وخاتمة** :

فالتقديم قد بينت فيه أهمية الموضوع وأسباب اختياره ، وخطة البحث، ومنهجي في كتابته .

والفصل الأول : **خواتم خاصة بالمؤمنين**

ويشتمل على الأنواع الآتية:

١ – تفصيل جملة المطلوب

٢ – الدعاء

٣ – الوصايا

٤ – الفرائض

(١) البرهان للزركشي ١٥٢/١ ، والإتقان للسيوطي ٣٦٦/٣

٥- الحث على العبادة

والفصل الثاني : **خواتم خاصة بالله تعالى**

ويشتمل على الأنواع الآتية:

١- التبجيل والتعظيم

٢- الوعد والوعيد

٣- التحميد

٤- التوحيد والتنزيه

والفصل الثالث : **خواتم خاصة بالرسول (ﷺ)**

ويشتمل على الأنواع الآتية:

١- وصفه ومدحه (ﷺ)

٢- تسليته (ﷺ)

٣- الدفاع عنه (ﷺ)

٤- وصيته (ﷺ)

والفصل الرابع : **خواتم خاصة بالقرآن**

ويشتمل على النوعين الآتيين:

١- وصف القرآن الكريم ومدحه

٢- الحكمة من إنزاله

وأمَّا الخاتمة: ففيها أهم النتائج التي توصلت إليها، وألحقت بها فهرسين: أحدهما للمصادر والمراجع والآخر للموضوعات.

وكانت خطواتي في إعداد هذا البحث كالآتي:

١- جمعتُ خواتم خمس عشرة سورة من أول المصحف، لتكون مثالاً لمن نظر في بقيته، حيث إنَّ هذا البحث لا يتسع لتناول كل سور القرآن من أوله إلى آخره، وأيضاً فقد يكون المعنى والغرض واحداً في خواتم بعضها.

٢- قسَّمتُ هذه الخواتم إلى أربعة أقسام -حسب ما تتحدث عنه- وكل قسم تحته أنواع، ووضعتُ عنواناً لكل قسم ونوع ليسهل دراسة خاتمة السورة وتحليلها.

٣- اكتفيت عند ذكر خاتمة السورة بالآية الأخيرة منها خشية التطويل، وهذا إذا اكتمل المعنى المراد، وإلا فأذكر آيتين أو ثلاثاً حسبما يقتضي المقام.

٤- تناولت هذه الخواتم بالدراسة والتحليل وراجعت أشهر كتب اللغة والتفسير وعلوم القرآن وأسلمها منهجاً للوقوف على معنى الآية والتأكد من صحة الاستدلال والاستنباط.

٥- ذكرتُ الأسرار والنكات واللطائف التي انطوت عليها خاتمة كل سورة، وكيف جاءت عذبة اللفظ، حسنة السبْك، صَحيحة المعنى، مشعرة بالتّمام، مع بيان وجه التناسب والترابط بينها وبين فاتحتها.

٦- كتبتُ الآيات والكلمات القرآنية بالرسم العثماني، فراراً من الخطأ، مع تخريجها بذكر اسم السورة، ورقمها، ورقم الآية.

٧- خرَّجتُ الأحاديث النبوية من كتب الحديث، مكتفياً بما في البخاري ومسلم إذا كان الحديث فيهما أو في أحدهما.

٨- عرَّفتُ بالمصطلحات اللغوية والبلاغية والأصولية الواردة في البحث، مع عزوها إلى مصادرها من كتب اللغة والبلاغة والأصول.

٩- ضبطتُ الكلمات التي يصعب قراءتها، مع توضيح الكلمات التي يلتبس معناها على بعض الأذهان.

١٠-ختمتُ البحث بخاتمة ذكرت فيها النتائج التي توصلت إليها، وقائمة بالمصادر والمراجع التي أفدت منها ورتبتها حسب موضوعاتها ثم ذكرت فهرساً للموضوعات.

الفصل الأول

خواتم خاصة بالمؤمنين

ويشتمل على الأنواع الآتية:

١- تفصيل جملة المطلوب.

٢- الدعـــــــــــــاء.

٣- الوصـــــــايـــــــا.

٤- الفـــــــرائـــــــض.

٥- الحث على العبـــادة.

النوع الأول

تفصيل جملة المطلوب

قوله تعالى :﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ (١)

خُتِمَتْ سورة الفاتحة بهذه الآيات الجامعة، لكل ما يتعلق بأمور العباد في العلاقة بينهم وبين خالقهم، وما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة، وكل ما جاء في القرآن بعدها فمفصَّل من جوامع هذه الآيات. (٢)

والهدى في اللغة: الدلالة والرشاد (٣)، وقوله { اهدنا} معناه: ألهمنا ووفقنا وأرشدنا ودُلَّنَا. (٤)

والصراط: الطريق(٥) ومعنى استقامته: وضوحه وبيانه وعدم اعوجاجه. (٦)

وذكر المفسرون في المراد بالصراط هنا أقوالاً كثيرة مروية عن الصحابة والتابعين مرجعها إلى قولين هما: الإسلام، أو القرآن، وكلاهما طريق واضح. (٧)

---

(١) سورة الفاتحة ١ الآيات ٥-٧

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ٥٢/١

(٣) جاء في لسان العرب: هَدَيْتُهُ إِلى الطَّرِيقِ وَلِلطَّرِيقِ عَلَى مَعْنَى أَرشَدْته إِلَيها وَيُقَالُ: هَدَيْتُ لَهُ الطريقَ عَلَى مَعْنَى بَيَّنْتُ لَهُ الطَّرِيقَ، وَعَلَيْهِ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}. لسان العرب لابن منظور ٣٥٥/١٥ ، والصحاح للجوهري ٢٥٣٣/٦

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ١٦٦/١ ، والنكت والعيون للماوردي ٥٨/١ ، وزاد المسير لابن الجوزي ٢٠/١

(٥) قال الفارابي: «الصِراطُ والسِراطُ والزِراطُ: الطريقُ. الصحاح ٣/ ١١٣٩، وغريب القرآن لابن قتيبة الدينوري صفحة ٣٨

(٦) جامع البيان في تأويل القرآن ١٧٠/١، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤٩/١ ، وتفسير القرآن للسمعاني١/ ٣٨

(٧) البحر المحيط لأبي حيان ٤٧/١، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤٧/١

ومعنى الدعاء بطلب الهداية إلى الصراط وهم مهتدون بالإيمان: إما طلب الثبات عليها، أو الزيادة منها. (١)

يقول السمعاني: " فَإِن قَالَ قَائِل: أَي معنى للاسترشاد، وكل مُؤمن مهتد، فَمَا معنى قَوْله {اهدنا} ؟.

قُلْنَا: هَذَا سُؤال من يَقُول بتناهي الألطاف، من الله تَعَالَى، وَمذهب أهل السّنة أَن الألطاف والهدايات من الله تَعَالَى لَا تتناهى(٢)، فَيكون ذَلِك بِمَعْنى طلب مزِيد الْهِدَايَة، وَيكون بِمَعْنى سُؤال للتثبيت، اهدنا بِمَعْنى ثبتنا". (٣)

والمراد بالمنعَم عليهم في قوله {أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}: المذكورون في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ (٤). (٥)

وقيل أراد بهم المؤمنين عامة حيث جاء الإنعام في الآية عاماً غير مقيداً ليشمل جميع النعم التي أنعم الله بها، وأولها وأهمها الإسلام وجميع النعم تبعاً له. (٦)

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤٩/١، وبحر العلوم للسمرقندي ١٨/١

(٢) الألطاف جمع لطف واللطف هو خلق القدرة على الطاعة، وضده الخذلان وهو خلق القدرة على المعصية. تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل لأبي بكر الباقلاني صفحة ٣٨٠ ، ومقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري ٤١٦/٢

(٣) تفسير القرآن للسمعاني ٣٨/١، ومعالم التنزيل للبغوي ٥٧/١، والكشاف ١٥/١

(٤) سورة النساء ٤ الآية ٦٩

(٥) تفسير الطبري ١٧٧/١، وتفسير ابن أبي حاتم١/ ٣١، والكشف والبيان للثعلبي ١٢١/١

(٦) وهناك أقوال أخرى ذكرها المفسرون فقيل: هم أصحاب النبي ﷺ، قاله الحسن، وقيل: هم المؤمنون من بني إسرائيل الذين لم يغيروا ولا يبدلوا، وقيل: هم المسلمون، وقال أبو العالية: " هم محمد ﷺ وأبو بكر وعمر" وقيل غير ذلك. الكشاف ١/ ١٥، والبرهان ١٨٢/١، والإتقان ٣٦٦/٣، والهداية إلى بلوغ النهاية لأبي محمد مكي بن أبي طالب ١١٢/١ ، والنكت والعيون٥٩/١-٦١، وتفسير مبهمات القرآن لأبي عبد الله محمد بن علي البلنسي ١٠٥/١ ، وتفسير القرآن للسمعاني ٣٩/١

وجمهور المفسرين على أنَّ المراد بـ {المغضوب عليهم} اليهود و{الضالين} النصارى، مستدلين بما روي عن رسول الله (ﷺ) أنَّه قال لعدي بن حاتم: (المغضوب عليهم: اليهود، ولا الضالين: النصارى) [١].

ونقل ابن أبي حاتم عن أبي سعيد أنه قال: " ولا أعلم بين المفسرين في هذا الحرف اختلافاً". [٢]

وقيل: "{المغضوب عليهم} اليهود والنصارى، وكان الله أنعم عليهم، ثم غضب عليهم لمّا كفروا بمحمد (ﷺ) والضالين سائر الكفرة، وقيل: المغضوب عليهم، اليهود والنصارى وسائر الكفرة، والضالين، أهل البدع". [٣]

وفي ختم الآية بقوله تعالى:﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ وصف لهؤلاء المنعم عليهم أو بدل منه[٤]، يعني أنَّهم حصلوا الإيمان، وسَلِمُوا من الغضب والضلال، وهذا من أعظم نعم الله تعالى عليهم.

يقول صاحب البرهان: ثم وصفهم بقوله:﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾يعني أنهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الإيمان وبين السلامة من غضب الله والضلال المسببين عن معاصيه وتعدي حدوده". [٥]

---

(١) سنن سعيد بن منصور ٥٣٧/٢ رقم ١٧٩ ، ومسند الإمام أحمد بن حنبل ١٢٤/٣٢ ، وصحيح ابن حبان ٣٤٤/٤

(٢) تفسير ابن أبي حاتم١/ ٣١، والنكت والعيون ٥٩/١

(٣) غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني، ١٠٥/١، وتفسير الإيجي ٢٤/١

(٤) مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب ٧٢/١ ، والتبيان في إعراب لأبي البقاء العكبري ٩/١

(٥) البرهان ١٨٢/١،والإتقان ٣٦٦/٣، وتفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ٣٣/١

وقوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ مجمل[1] لم يبين نوع الصراط المطلوب الهداية إليه، فجاء تفصيله وبيانه في خاتمة السورة في قوله: {صِرَاطَ الذين أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ }.

يقول الزركشي:" تفصيل جملة المطلوب في خاتمة فاتحة الكتاب: إذ المطلوب الأعلى الإيمان المحفوظ من المعاصي المسببة لغضب الله والضلال ففصَّل جملة ذلك بقوله﴿ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾".[2]

وفائدة هذا التفصيل بعد الإجمال أنَّ النفس إذا ذُكر المجمل أولاً تترقب وتتشوف للتفصيل والبيان؛ فإذا جاء التفصيل ورد على نفس مستعدة لقبوله متشوقة إليه؛ وفيه أيضاً التأكيد على أنَّ الذين أنعم الله عليهم هم الذين على الصراط المستقيم، ولهذا وقع بدلاً من الصراط الأول.

ولله درُّ الزمخشري حين أشار إلى هذه النكتة فقال: " فإن قلت: ما فائدة البدل؟ وهلا قيل اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم؟ قلت: فائدته التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير، والإشعار بأنّ الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على أبلغ وجه وآكده، كما تقول: هل أدلك على أكرم الناس وأفضلهم؟ فلان فيكون ذلك أبلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك: هل أدلك على فلان الأكرم الأفضل، لأنك ثنيت ذكره مجملاً أولاً، ومفصلاً ثانياً، وأوقعت

---

(١) المجمل هو ما لا ينبئ عن المراد بنفسه، ويحتاج إلى قرينة تفسره أولا يعرف معناه من لفظه، والمفسر: ما ينبئ عن المراد بنفسه، أو يعرف معناه من لفظه ولا يفتقر إلى قرينة تفسره. العدة في أصول الفقه لمحمد بن الحسين الفراء البغدادي ١٤٢/١،١٤٣، ١٥١ ، وأصول الفقه لمحمد بن مفلح المقدسي ٩٩٩/٣

(٢) البرهان ١٨٢/١ ، والإتقان ٣٦٦/٣-٣٦٨

فلاناً تفسيراً وإيضاحاً للأكرم الأفضل فجعلته علماً في الكرم والفضل، فكأنك قلت: من أراد رجلاً جامعاً للخصلتين فعليه بفلان، فهو المشخص المعين لاجتماعهما فيه غير مدافع ولا منازع".[١]

(١) الكشاف للزمخشري ١٥/١ ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ٣٠/١

النوع الثاني

الـــدعـــــــاء

قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (١)

ختم الله (ﷻ) سورة البقرة بهذه الدعوات الجامعات تعليماً منه (ﷻ) لعباده كيفية الدعاء والطلب، وهذا غاية الكرم ونهاية الإحسان منه (ﷻ)، حيث علَّمنا كيفية الطلب ليعطينا، وأرشدنا للسؤال ليثيبنا.

وهذا الدعاء إما أن يكون حكاية لكلام المؤمنين الذين ورد ذكرهم في الآية السابقة، وإما أن يكون أمراً من الله تعالى لهم بأن يقولوا هذا الدعاء.

يقول ابن عاشور: "يجوز أن يكون هذا الدعاء محكياً من قول المؤمنين الذين قالوا: ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ (٢)، بأن اتبعوا القبول والرضا، فتوجهوا إلى طلب الجزاء ومناجاة الله تعالى، واختيار حكاية هذا عنهم في آخر السورة تكملة للإيذان بانتهائها، ويجوز أن يكون تلقيناً من جانب الله تعالى لهم: بأن يقولوا هذا الدعاء، مثل ما لُقنوا التحميد في سورة الفاتحة فيكون التقدير، قولوا: ربنا لا تؤاخذنا إلى آخر السورة". (٣)

---

(١) سورة البقرة ٢ من الآية ٢٨٦

(٢) سورة البقرة ٢ من الآية ٢٨٥

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٣٩/٣ ، وتفسير الطبري ١٥٥/٥، و النكت والعيون ٣٦٤/١، و البحر المحيط ٧٦٢/٢

وقد ذكر الله (ﷻ) في هذه الآية سبعة أدعية تفيد التضرع إليه، وتشير إلى رحمته بعباده وخواص شرعه الشريف، وافتتحت كل جملة منها بقولهم: "{ربنا} إيذانا منهم بأنهم يرغبون من ربهم الذي هو مربيهم، ومصلح أحوالهم، ولأنهم مقرون بأنهم مربوبون داخلون تحت رق العبودية والافتقار، ولم يأت لفظ: {ربنا} في الجمل الطلبية أخيراً[١] لأنها نتائج ما تقدم من الجمل التي دعوا فيها: بربنا".[٢]

وأول هذه الدعوات: قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾.

والأخذ هو: العقاب [٣]، ومعنى المؤاخذة: المعاقبة ، وتركها يعني عدم العقاب. [٤]

والنسيان[٥] هو المرادف للسهو والغفلة، ومعناه: ذهول القلب عن النظر في المعلوم. [٦]

---

(١) يعني الواردة آخر الآية في قوله تعالى: { وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ }

(٢) البحر المحيط ٧٦٢/٢، وزهرة التفاسير لأبي زهرة (ت ١٣٩٤هـ) ١٠٩٢/٢

(٣) قال ابن منظور: وآخَذَه بِذَنْبِهِ مُؤاخذة: عَاقَبَهُ. وَفِي التَّنْزِيلِ:{فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِۦ}سورة العنكبوت ٢٩ من الآية ٤٠. لسان العرب٣/ ٤٧٣

(٤) الكشف والبيان ٣٠٦/٢، والوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي ٤١٠/١، ومعالم التنزيل ٤٠٢/١، والبحر المحيط ٧٦٢/٢

(٥) النسيان بكسر النون: خلاف الذكر والحفظ، ورجل نسيان بفتح النون: كثير النسيان للشيء. الصحاح ٦/ ٢٥٠٨ ولسان العرب ١٥/ ٣٢٢

(٦) التمهيد في أصول الفقه المؤلف: محفوظ بن أحمد بن الحسن أَبُو الخطاب الكَلْوَذَاني الحنبلي (٤٣٢ - ٥١٠ هـ) ٥٧/١ ، والتحبير شرح التحرير في أصول الفقه المؤلف: علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الحنبلي ٢٥٢/١

والمراد بالخطأ: ترك الصواب بجهل، وبلا عمد. [١]

واختلف المفسرون في المراد بالنسيان والخطأ في الآية على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنَّ المراد بهما ما أدى إليهما من التضييع وعدم الاعتناء وقلة المبالاة ، حيث إنَّ النسيان والخطأ قد ورد الشرع بعدم المؤاخذة عليهما فيما روي عن ابن عباس عن النبي (ﷺ) قال: " إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه " [٢]

يقول الزمخشري: " فإن قلت: النسيان والخطأ متجاوز عنهما، فما معنى الدعاء بترك المؤاخذة بهما؟

قلت: ذكر النسيان والخطأ والمراد بهما ما هما مسببان عنه من التفريط والإغفال، ألا ترى إلى قوله:﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾[٣] والشيطان لا يقدر على فعل النسيان، وإنما يوسوس فتكون وسوسته سبباً للتفريط الذي منه النسيان".[٤]

القول الثاني: أنَّ المراد من النسيان والخطأ في الآية: العمد بترك الواجبات، وفعل المعاصي[٥]، حيث إنَّ التعبير بـ (أخطأ) يدل على الجهل، أمَّا (خطئ) فالتعبير بها يدل على التعمد.

---

(١) الخطأ والخطاء: ضد الصواب. مختار الصحاح للرازي صفحة ٩٢ ، ولسان العرب ١/ ٦٥، ٦٦

(٢) سنن ابن ماجه ٢٠١/٣ حديث رقم ٢٠٤٦ ، و التقاسيم والأنواع لأبي حاتم محمد بن حبان ٤٦٩/٥ حديث رقم ٤٧٦٠

(٣) سورة الكهف ١٨ من الآية ٦٣

(٤) الكشاف ٣٣٢/١، وتفسير الطبري ١٥٥/٥، ومفاتيح الغيب للرازي ١٩٩/٧ ، ولباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ٢٢٠/١ ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري ٩٢/٢

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٧٠/١، والنكت والعيون ٣٦٤/١، والتفسير الوسيط للواحدي ٤١٠/١، وتفسير القرآن للسمعاني ٢٨٨/١

ذكر الأخفش أنَّ: "خطا يخطأ بمعنى: أذنب وليس معنى أخطأ؛ لأن أخطأ في ما لم يصنعه عمداً يقول فيما أتيته عمداً خطيت؛ وفيما لم يتعمده: أخطأت" .(١)

وقال الغزنوي: " الخطأ والنسيان مرفوعان عن الإنسان، فيكون نسينا بمعني تركنا، وأخطأنا بمعني خطئنا، يقال [خطئ] خطأ: إذا تعمد الإثم، وأخطأ إذا لم يتعمد]، قال (ﷻ):﴿ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴾ (٢)

وقال:﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ ﴾(٣) . (٤)

القول الثالث: أنَّ المراد نفس الخطأ والنسيان، فيكون الدعاء بترك المؤاخذة عليهما، إذ جائز أن يؤاخذ الإنسان بهما ولا شيء يمنعه، حيث: " إن مؤاخذة الناسي غير ممتنعة عقلاً، وذلك لأن الإنسان إذا علم أنه بعد النسيان يكون مؤاخذا فإنه بخوف المؤاخذة يستديم الذكر، فحينئذ لا يصدر عنه إلا أن استدامة ذلك التذكر فعل شاق على النفس، فلما كان ذلك جائزا في العقول، لا جرم حسن طلب المغفرة منه بالدعاء. (٥)

وأيضاً فإن الذنوب كما قال البيضاوي: " كالسموم فكما أن تناولها يؤدي إلى الهلاك، وإن كان خطأ، فتعاطي الذنوب لا يبعد أن يفضي إلى العقاب وإن لم تكن عزيمة، لكنه تعالى وعد التجاوز عنه رحمةً وفضلاً فيجوز أن يدعو الإنسان به استدامة واعتداداً بالنعمة فيه. (٦)

---

(١) معانى القرآن للأخفش ٤٢٢/٢ ، ولسان العرب ٦٧/١
(٢) سورة الحاقة ٦٩ الآية ٣٧
(٣) سورة الأحزاب ٣٣ من الآية ٥
(٤) باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن للنيسابوريّ الغزنوي٢٧١/١
(٥) مفاتيح الغيب ١١٩/٧
(٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١٦٦/١، والبحر المديد لابن عجيبة ٣١٨/١

ورجح الثعلبي وغيره القول بأنَّ المراد بالنسيان والخطأ هنا السهو وليس العمد بأنَّه قد ورد الوعد بالعفو عن السهو، بخلاف العمد فمتوعد عليه بالعقاب.

يقول الثعلبي:" {إِنْ نَسِينا} جعله بعضهم من النسيان الذي هو السهو.

وقال الكلبي: كانت بنو إسرائيل إذا نسوا شيئا ممّا أمروا به وأخطئوا، عجّلت لهم العقوبة فيحرّم عليهم شيء من مطعم أو مشرب على حسب ذلك الذنب، فأمر الله تعالى نبيّه والمؤمنين أن يسألوه ترك مؤاخذتهم بذلك.

وقال بعضهم: هو من النسيان الذي هو الترك والإغفال. قال الله تعالى:﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [1] والأوّل أجود.

{أَوْ أَخْطَأْنا} جعله بعضهم من القصد والعمد، يقال: خطئ فلان إذا تعمّد يخطأ خطأ وخطأ، قال الله: إِنَّ قَتْلَهُمْ كانَ خِطْأً كَبِيراً، وجعله الآخرون من الخطأ الذي هو الجهل والسهو وهو الأصح لأن ما كان عمدا من الذنب غير معفو عنه، بل هو في مشيئة الله تعالى ما لم يكن كفرا".[2]

وثاني هذه الدعوات ورد في قوله تعالى:﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾

(١) سورة التوبة ٩ من الآية ٦٧

(٢) الكشف والبيان ٢/ ٣٠٦،٣٠٧، ومعالم التنزيل ٤٠٢/١، وكشف التنزيل للحداد اليمني ٥١٥/١

والإصر: في اللغة يأتي بمعان متعددة منها: العهد والعقد، والحِمل الثقيل، والإثم والذنب.(١)

والمراد من الدعاء على المعنى الأول: لا تأخذ علينا عهداً فلا نستطيع القيام به، ونعجز عنه، كما حدث مع اليهود والنصارى الذين كلفوا أعمالاً وأخذت عهودهم ومواثيقهم على القيام بها، فلم يقوموا بها، فعوجلوا بالعقوبة. (٢)

وعلى المعنى الثاني: "لا تشق علينا ولا تُشَدِّد ولا تُغَلِّظ الأمر علينا، كما شدّدت على الذين من قبلنا من اليهود، وذلك أن الله تعالى فرض عليهم خمسين صلاة، وأمرهم بأداء ربع أموالهم في الزكاة ، ومن أصاب ثوبه نجاسة قطعها".(٣)

وقد علَّمنا الله تعالى أن ندعوه بهذا الدعاء لأن التشديد يؤدي إلى التقصير، وهو مستلزم العقوبة.

يقول الرازي: " والمؤمنون إنما طلبوا هذا التخفيف لأن التشديد مظنة التقصير، والتقصير موجب للعقوبة، ولا طاقة لهم بعذاب الله تعالى، فلا جرم طلبوا السهولة في التكاليف".(٤)

---

(١) قال الفارابي: «الإصْرُ: العهدُ. والإصْرُ: الذنبُ والثِقَلُ» الصحاح ٥٧٩/٢ ، معاني القرآن للفراء ١/ ١٨٩ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣٧٠/١، و معاني القرآن للنحاس ٣٣٤/١، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ) صفحة ٥

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ١٥٨/٥، و الكشف والبيان ٥٩١/٧، و التَّفْسِيرُ البَسِيْط للواحدي، ٥٣٨/٤

(٣) الكشف والبيان ٥٩١/٧، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٧٠/١، و ، و عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي ٩٣/١

(٤) مفاتيح الغيب ١٢١/٧، و غرائب القرآن ورغائب الفرقان٢/ ٩٣، والتفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي ٦٦١/١

وعلى المعنى الثالث يكون المراد: " لا تحمل علينا ذنبًا ليس فيه توبة ولا كفارة ".[1]

والدعاء الثالث ورد في قوله تعالى:﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾.

وقد ذكر المفسرون في المراد بهذا الدعاء وجوهاً كثيرة منها: رفع العذاب عنهم والعقوبات التي نزلت بمن قبلهم من جعلهم قردة وخنازير، والتغليظ والأغلال التي كانت عليهم، أو ما يصعُب ويشق من الأعمال، وقيل: حديث النفس ووساوسها، أو المراد به: " الْغُلْمَةُ"[2]. [3]

والفرق بين هذا الدعاء والذي قبله أنَّ الأول فيه طلب معافاتهم من التكاليف الشاقة التي أوقعها على الأمم السابقة، وهذا فيه طلب المعافاة عما أنزل بهم من العذاب بسبب جناياتهم.

يقول الزمخشري: "﴿ وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ من العقوبات النازلة بمن قبلنا، طلبوا الإعفاء عن التكليفات الشاقة التي كلفها من قبلهم، ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم في المحافظة عليها"[4]

---

(١) النكت والعيون ٣٦٤/١، و التَّفْسِيرُ البَسِيْط ٥٣٨/٤، و معالم التنزيل ٤٠٤/١، و لباب التأويل ٢٢١/١

(٢) الغُلْمة: هيجان شهوة النِّكَاح من المرأة والرجل وغيرهما. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٣٨٢/٣، ولسان العرب ١٠/ ١١١

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٥٨١/٢ ، والكشف والبيان ٧/ ٥٩٥، وغرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني، ٢٣٧/١، و زاد المسير لابن الجوزي ٢٥٦/١

(٤) الكشاف ١/ ٣٣٣، البحر المحيط ٧٦٥/٢، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان ٩٤/٢، ومحاسن التأويل للقاسمي ٢٤٨/٢

وأيضاً: فإن هذا الدعاء أعم من الذي قبله لأن { ما} في قوله ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ تفيد العموم فيكون السؤال بعدم تحميلهم كل ما لا يطيقون، بخلاف قوله {ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا} فالسؤال فيه أن لا يحملهم مثل ما فعل بالأقوام قبلهم وهو يقتضي المماثلة. (١)

أمَّا الدعاء الرابع والخامس والسادس فقد ورد في قوله :﴿وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآ﴾

والفرق بين طلب العفو عن الذنوب وطلب غفرانها أنَّ (العفو) هو أن يتجاوز عنها ولا يعاقب عليها (٢)، أما (الغفران) فهو سترها وعدم كشفها (٣)، وهي مرتبة أعلى من الأولى.

يقول الراغب: "إن قيل: ما الفرق بين العفو والغفران والرحمة؟ وما وجه هذا الترتيب؟ قيل: العفو: إزالة الذنب بترك عقوبته، والغفران ستر الذنوب، وكشف الإحسان الذي غطى به، والرحمة إفاضة الإحسان عليه، وقد علم أن الثاني أبلغ من الأول، والثالث أبلغ من الثاني" . (٤)

ولم يأت الله (ﷻ) في هذه الأدعية الثلاثة بلفظ {ربنا} لأن المقصود منها طلب الفعل، بخلاف الثلاثة الأولى فالمراد منها طلب الترك، والعبد إنما يحتاج للنداء إذا كان المنادى بعيداً بخلاف ما لو كان قريباً.

---

(١) البحر المحيط ٢/٧٦٥

(٢) قال الرازي: (عَفَا) عَنْ ذَنْبِهِ أَيْ تَرَكَهُ وَلَمْ يُعَاقِبْهُ . مختار الصحاح ص٢١٣، ولسان العرب ١٥/ ٧٢

(٣) جاء في لسان العرب: أصل الغفر التغطية والستر. غفر الله ذنوبه أي سترها. لسان العرب ٥/ ٢٥

(٤) تفسير الراغب الأصفهاني ١/٦٠٠

يقول الرازي: " لما كانت الأدعية الثَّلاثةُ المُتقدِّمةُ، المطلوب بها الترك، قُرِنت بلفظ «رَبَّنَا» ، وأَمَّا هذا الدُّعاء فحذف فيه لفظ «رَبَّنَا» وظاهره يدلُّ على طلب الفعل.

فإن قيل: لِمَ لَمْ يذكر هنا لفظ «رَبَّنَا» ، فالجواب: أن النِّداء إنما يحتاجُ إليه عند البعد أمَّا عند القرب فلا؛ وإنَّما حذف النِّداء إشعاراً بأنَّ العبد إذا واظب على التَّضرُّع نال القرب من اللهِ – تعالى –".[1]

ثم خَتمت السورة دعاء المؤمنين بقوله تعالى:﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾

والولاية بمعنى النصرة ، والولي والمولى هو الناصر [2]، وقولنا ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا ﴾ يعني: ناصرنا وحافظنا ووليا. [3]

وهذا الدعاء من المؤمنين يفيد غاية تذللهم وخضوعهم لله (ﷻ)، لأنهم اعترفوا بأنه (ﷻ) هو المدبر والمصلح لجميع شئونهم وأحوالهم، والمتولي لجميع النعم، فلا جرم أظهروا عند الدعاء أنهم في كونهم متكلين على فضله وإحسانه بمنزلة الطفل الذي لا تتم مصلحته إلا بتدبير قيمه، والعبد الذي لا ينتظم شمل مهماته إلا بإصلاح مولاه، فهو سبحانه قيوم السموات والأرض، والقائم بإصلاح مهمات الكل، وهو المتولي في الحقيقة للكل".[4]

---

(١) مفاتيح الغيب ٧/ ١٢٤، و اللباب في علوم الكتاب لابن عادل ٥٤٢/٤

(٢) مختار الصحاح ص٣٤٥، و لسان العرب١٥/ ٤٠٦

(٣) الكشف والبيان٧/ ٦٠٤، ومعالم التنزيل ٣٥٨/١

(٤) مفاتيح الغيب ٧/ ١٢٤

ولم يذكر الله (ﷻ) في هذه الآية أنه استجاب دعواتهم هذه أم لم يستجب لهم، وقد بين (ﷻ) في موضع آخر أنه استجاب لهم ورفع الحرج عنهم في الخطأ والنسيان.

فأشار إلى أنه أجاب بقوله في الخطأ: ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ ﴾[١] ، الآية، وأشار إلى أنه أجاب في النسيان بقوله: ﴿ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [٢]

وهذا ظاهر في أنَّ الإنسان قبل الذكرى لا إثم عليه في ذلك، ولا يقدح في هذا أن آية: {وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ} مكية، وآية: {لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا} مدنية إذ لا مانع من بيان المدني بالمكي، كعكسه، وقد ثبت في صحيح مسلم أن النبي (ﷺ) لما قرأ: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ قال الله تعالى: (نعم) أو (فعلت).[٣].[٤]

ومن حسن الختام في هذه السورة أنّه جاء موافق للبدء أيما موافقة، ففي أولها الحديث عن صفات المؤمنين، وختمت أيضاً بالكلام عنهم وهو ما بدأت به، فيكون صنف المؤمنين هو المحتفى به أولاً وآخراً.

وأيضاً: فإن هذا الدعاء " أتى في نهاية سورة اشتملت على كثير من الجدل والنقاش، وجملة كبيرة من الأحكام ليؤذن بأن السعادة الحقة

---

(١) سورة الأحزاب ٣٣ من الآية ٥

(٢) سورة الأنعام ٦ من الآية ٦٨

(٣) صحيح مسلم ١١٥/١ حديث رقم ١٢٥، و ١١٦/١ حديث رقم ١٢٦ .

وروى مثله الطبري وغيره عن ابن عباس ﷺ. جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٦٧/٥، وكتاب تفسير القرآن للنيسابوري ١/ ١٠٣

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي ١٨٨/١

إنما هي في الالتجاء إلى الله (ﷻ) ، واستمداد القوة من قدرته تعالى، ولذا كان هذا الدعاء مؤذناً بالانتهاء، باعثاً برد الراحة في الفؤاد، بعد معركة طال فيها بيان الحق، ومناقشة الباطل وهدمه".[١]

(١) من بلاغة القرآن صفحة ١٨٤

النوع الثالث

الـــوصـــــايـــا

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ (١)

ختم الله (ﷻ) سورة آل عمران بهذه الوصايا الجامعة النافعة للمؤمنين، والتي جمعت لهم الظهور في الدنيا على أعدائهم والفوز بنعيم الآخرة، فأوصاهم بالصبر (٢)، والمصابرة(٣)، والمرابطة(٤)، وختم الآية بالأمر بالتقوى المترتب عليها التوفيق والفلاح لهم في الدنيا والآخرة.

قال في البرهان: " ختمت سورة آل عمران بالوصايا بالصبر على تكاليف الدين والمصابرة لأعداء الله في الجهاد ومعاقبتهم والصبر على شدائد الحرب والمرابطة في الغزو المحضوض(٥) عليها بقوله: ﴿ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ ﴾ (٦) والتقوى الموعود عليها

---

(١) سورة آل عمران ٣ الآية ٢٠٠

(٢) قال الراغب: الصَّبْرُ: حبس النّفس على ما يقتضيه العقل والشرع، أو عمّا يقتضيان حبسها عنه، فَالصَّبْرُ لفظ عامّ وقوله تعالى: {اصْبِرُوا وَصابِرُوا} أي: احبسوا أنفسكم على العبادة وجاهدوا أهواءكم. المفردات صفحة ٤٧٤

(٣) المصابرة: بضم الميم وفتح الباء مفاعلة من الصبر، ملازمة الصبر حتى يفوق بصبره صبر غيره. المطلع على ألفاظ المقنع لمحمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي صفحة٢٥١ ، ومعجم لغة الفقهاء المؤلف: محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي صفحة ٤٣٢

(٤) الرباط والمرابطة: ملازمة ثغر العدو، وأصله أن يربط كل واحد من الفريقين خيله، ثم صار لزوم الثغر رباطا، والرباط: المواظبة على الأمر. المخصص لابن سيده ١٠٨/٢، والمحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ١٦٢/٩ ، ولسان العرب ٣٠٢/٧

(٥) الحض: ضرب من الحث في السير والسوق وكل شيء. لسان العرب٧/ ١٣٦

(٦) سورة الأنفال ٨ من الآية ٦٠

بالتوفيق في المضايق وسهولة الرزق في قوله:﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾ [١] ، وبالفلاح لأن {لعل} من الله واجبة. [٢]

وقد ذكر المفسرون في المراد بالصبر والمصابرة والمرابطة في الآية أقوالاً كثيرة رويت عن الصحابة والتابعين (ﷺ) أذكر منها:

١- أنَّ المراد : الصبر على طاعة الله ، والمصابرة لأعداء الله ، والمرابطة في سبيل الله تعالى .

٢- أو اصبروا على دينكم ، وصابروا الوعد الذي وعدكم ، ورابطوا عدوي وعدوكم .

٣- أو الصبر على الجهاد ، ومصابرة العدو ، والمرابطة ملازمة الثغر .

٤- وقيل المراد بالمرابطة: انتظار الصلاة بعد الصلاة. [٣]

وذِكر المصابرة بعد الصبر وإن كانت نوعاً منه من قبيل: ذكر الخاص بعد العام[٤] اهتماماً به لشدته وصعوبته، وأتى بالمرابطة بعدهما لأنها تكون فيما هو أشد وأصعب.

يقول الطيبي في حاشيته على الكشاف: " قوله: (تخصيصاً) [٥] أي: ذكر تخصيصاً؛ لأن المصابرة نوع خاص من الصبر، كأنه قيل:

---

(١) سورة الطلاق ٦٥ من الآية ٢

(٢) البرهان في علوم القرآن١/ ١٨٢، والإتقان في علوم القرآن ٣٦٦/٣

(٣) جامع البيان في تأوي آي القرآن٦/ ٣٣٢ ، وتفسير ابن المنذر٢/ ٥٤٣ ، والكشف والبيان ٣/ ٢٣٨، والنكت والعيون/ ٤٤٥

(٤) (الخاص بعد العام) من أسباب الإطناب، ويؤتى به للتنبيه على فضل الخاص حتى كأنه ليس من جنس العام تنزيلا للتغاير في الوصف فيما حصل به للخاص التميز عن غيره؛ بمنزلة التغاير في الذات. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي ٦٠٧/١، و الإيضاح في علوم البلاغة لجلال الدين القزويني ٢٠٠/٣

(٥) إشارة إلى قول الزمخشري: " والمصابرةُ: بابٌ من الصَّبْر ذُكِرَ بعْدَ الصَّبْرِ على ما يجبُ الصَّبر عليه؛ تخصيصًا لشدّته وصعوبته". الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل١/ ٤٦٠

اصبروا على ما يجب الصبر عليه، وخصوا الصبر مع أعداء الله لأنه أصعب، فيكون من باب قوله: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ﴾ [١] ، ثم قوله: (وَرَابِطُوا) أخص من مطلق المصابرة؛ لأنه أرهب للأعداء، قال تعالى: ﴿تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ﴾.[٢]

وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: الرباط أفضل من الجهاد؛ لأنه حصن دماء المسلمين، والجهاد سفك دماء المشركين، وحصن دماء المسلمين أفضل من سفك دماء المشركين. [٣]

وقد جاء هذا الختام مناسب أيما مناسبة لما ورد في السورة نفسها من الحديث عن معركة أحد، وما أصاب المؤمنين فيها، وما اشتملت عليه من مجادلات، كما في مجادلة أهل الكتاب في أمر عيسى (عليه السلام) إلى غير ذلك، مما استدعى أن تختم بالأمر بالصبر والصابرة والرباط.

فهي: "خاتمة شريفة منادية على ما اشتملت عليه السورة من التحريض على الصبر في تكاليف الله، والحث على المصابرة مع أعداء الله، والبعث على التقوى في جنب الله، ولذلك افتتحت السورة بذكر الكتب المنزلة على أنبياء الله لتكون الفاتحة مجاوبة للخاتمة، فإن كتب الله ما نزلت إلا للحث على التقوى، والصبر على التكاليف، والمصابرة مع الكفار، والمرابطة في سبيل الله "[٤]

(١) سورة البقرة ١ من الآية ٩٨
(٢) سورة الأنفال ٨ من الآية ٦٠
(٣) المنتقى شرح الموطإ المؤلف: أبو الوليد سليمان بن خلف القرطبي الباجي ١٦٢/٣
(٤) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب لشرف الدين الطيبي ٣٩٨/٤

النوع الرابع

الفـــــرائـــــض

قال تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١)

ختم الله (ﷻ) سورة النساء بهذه الآية الكريمة والتي تتحدث عن بعض أحكام الميراث المتعلق بكل إنسان في آخر أمره قبل موته، وقد ورد أنها آخر ما نزل من آيات الأحكام على النبي (ﷺ) في حجة الوداع، وهذا مما حسُن ختام السورة بها.

والاستفتاء الوارد في قوله { يستفتونك} هو: طلب الفتيا للحكم.(٢)

والمراد بالكلالة (٣) في الآية: "الميت الذِي يموت وليس لَهُ وَلَد وَلا والد". (٤)

والسبب في سؤال الصحابة عن الكلالة يفسره سبب نزول الآية فقد روي أنها نزلت في جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما– قال: " مرضت فعادني رسول الله (ﷺ) وأبو بكر، وهما ماشيان، فأتياني وقد أغمي علي، فتوضأ رسول الله (ﷺ) فصب علي وضوءه فأفقت، فقلت يا رسول الله،

(١) سورة النساء ٤ الآية ١٧٦

(٢) تفسير الراغب الأصفهاني٤/ ٢٤٤

(٣) يقول ابن منظور: كل يكل كلا وكلالا وكلالة: أعيا. لسان العرب١١/ ٥٩١

(٤) وهذا محل اتفاق بين المفسرين . تفسير مقاتل بن سليمان ١٢٩/٥ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٢٠١/٢

كيف أصنع في مالي، كيف أقضي في مالي، فلم يجبني بشيء حتى نزلت آية الميراث {يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة}. (١)

وقد ذكر العلماء أنَّ الله (ﷻ) أنزل في ميراث الكلالة آيتين، إحداهما في الشتاء (٢)، والأخرى في الصيف وهي هذه الآية، ولهذا سماها النبي (ﷺ) بآية الصيف(٣). (٤)

وهذه الآية ليست الوحيدة التي تحدثت عن الفرائض في هذه السورة، بل شرح الله (ﷻ) بعض أحكامها في بدايتها، فاختصت كل آية بذكر جملة من هذه الأحكام، وهذا من حسن الختام أيضاً، حيث جاءت نهاية السورة موافقة لبدايتها.

ففي ختمها بالحديث عن الميراث مرة أخرى، بعد تفصيله في بدايتها، إشارة وتنبيه على أنَّ أمر الميراث وتقسيمه من الخطورة بمكان، حيث إنَّه هو آخر أمر كل حي، وأعظم الحقوق التي تصل للإنسان، وقد قيل إنها آخر ما نزل من آيات الأحكام. (٥)

---

(١) صحيح البخاري ٢٤٧٣/٦ حديث رقم ٦٣٤٤ ، وصحيح مسلم ١٢٣٤/٣ حديث رقم ١٦١٦

(٢) وهي التي في أول هذه السورة في قوله تعالى:{وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ}سورة النساء٤ من الآية١٢

(٣) روي أن عمر بن الخطاب خطب يوم جمعة، فذكر نبي الله صلى الله عليه وسلم، وذكر أبا بكر، ثم قال: إني لا أدع بعدي شيئا أهم من الكلالة. ما راجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء ما راجعته في الكلالة. وما أغلظ لي في شيء ما أغلظ لي فيه. حتى طعن بإصبعه في صدري. وقال (يا عمر! ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء؟) وإني إن أعش أقض فيها بقضية، يقضي بها من يقرأ القرآن ومن لا يقرأ القرآن" . صحيح مسلم٣/ ١٢٣٦، رقم ١٦١٧

(٤) التفسير البسيط٧/ ٢١١، ومفاتيح الغيب ١١/ ٢٧٥

(٥) الإتقان في علوم القرآن٣/٣٦٦-٣٦٨ ، و روح المعاني ٢١٨/٣

يقول الطبري: " وذكر لنا أن أبا بكر الصديق (ﷺ) قال في خطبته: ألا إن الآية التي أنزل الله في أول سورة النساء في شأن الفرائض أنزلها الله في الولد والوالد، والآية الثانية أنزلها في الزوج والزوجة والإخوة من الأم، والآية التي ختم بها سورة النساء أنزلها في الإخوة والأخوات من الأب والأم، والآية التي ختم بها سورة الأنفال أنزلها في أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله مما جرت الرحم من العصبة "[1] . [2]

وقال الرازي: " اعلم أنه تعالى تكلم في أول السورة في أحكام الأموال وختم آخرها بذلك ليكون الآخر مشاكلاً للأول، ووسط السورة مشتمل على المناظرة مع الفرق المخالفين للدين".[3]

وتأخير هذه الأحكام إلى نهاية السورة، وعدم إيرادها في أولها جملة واحدة من قبيل التدرج في التشريع ليكون قبوله أهون على النفس، ولبيان الاهتمام بشأن الفرائض بإيرادها ثلاث مرات في أول السورة ووسطها ونهايتها.

يقول البقاعي: "والحاصل أن تأخير هذه الآية إلى هنا لما تقدم من أن تفريق القول فيما تأباه النفوس وإلقاءه شيئاً فشيئاً باللطف والتدريج أدعى لقبوله، وللإشارة إلى شدة الاهتمام بأمر الفرائض بجعل الكلام فيها في جميع السورة أولها وأثنائها وآخرها. [4]

---

(١) السنن الكبير للبيهقي ٤٩٤/١٢ رقم ١٢٤٥٥ ، وجمع الجوامع لجلال الدين السيوطي ١١٧/١٤

(٢) جامع البيان في تأويل آي القرآن ٧/ ٧١٤، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ١١٢٦/٤

(٣) مفاتيح الغيب ١١/ ٢٧٥، والبحر المحيط ٤/ ١٥٠

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ٥٢٩/٥

ومن حسن ختم السورة بهذه الآية أيضاً أنَّ فيها وصفه (ﷻ) بصفة العلم وإحاطة علمه كل شيء، بعد وصفه في أول السورة بصفة القدرة وبلوغه الكمال فيها، وبهذا ثبت له (ﷻ) صفات الجلال والكمال.

وهذا ما أشار إليه الفخر حيث قال: " واعلم أن في هذه السورة لطيفة عجيبة، وهي أن أولها مشتمل على بيان كمال قدرة الله تعالى فإنه قال﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ [١] وهذا دال على سعة القدرة، وآخرها مشتمل على بيان كمال العلم وهو قوله {والله بكل شيء عليم} وهذان الوصفان هما اللذان بهما تثبت الربوبية والإلهية والجلالة والعزة، وبهما يجب على العبد أن يكون مطيعاً للأوامر والنواهي منقادا لكل التكاليف." [٢]

(١) سورة النساء ٤ من الآية ١

(٢) مفاتيح الغيب ١١/ ٢٧٥، والبحر المحيط ٤/ ١٥٠

النوع الخامس

الحث على العبادة

قال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ﴾ (١)

ختمت سورة الأعراف بهاتين الآيتين وفيهما حث من الله تعالى للمؤمنين على عبادته (ﷻ) أوائل النهار وأواخره، اقتداء بالملائكة الكرام في عبادتهم المستمرة وركوعهم وسجودهم وتعظيمهم لله رب العالمين.

والأمر في قوله { واذكر} للنبي (ﷺ) ، ولكنه متوجه لجميع المكلفين. (٢)

وفي ذِكر وصف الرب خاصة في قوله { ربك} وإضافته إلى المخاطب دون لفظ "إلهك" أو أي اسم آخر من أسمائه (ﷻ) إشارة إلى شدة قربه (ﷻ) من العبد، وهذا من دواعي فرح العبد وتشريفه كلما ذكر هذا الاسم.

يقول الرازي: " ولم يقل: واذكر إلهك ولا سائر الأسماء، وإنما سماه في هذا المقام باسم كونه ربا، وأضاف نفسه إليه، وكل ذلك يدل على نهاية الرحمة والتقريب والفضل والإحسان، والمقصود منه، أن يصير العبد فرحا مبتهجا عند سماع هذا الاسم، لأن لفظ الرب مشعر بالتربية والفضل"(٣)

---

(١) سورة الأعراف ٧ الآيتان ٢٠٥-٢٠٦

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ٤٩٤/٢ ، وزاد المسير ١٨٤/٢

(٣) مفاتيح الغيب ١٥/ ٤٤٢ ، والبحر المحيط ٥/ ٢٦٢

والذكر في الآية عام فيشمل جميع الأذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك، على ما ذهب إليه الجمهور من المفسرين.[١]

وقد ذكر الله (ﷻ) لهذا الذكر حالتين ووقتين:

أما الحالة الأولى فأشار إليها بقوله:﴿ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾.

والمراد بالذكر في النفس[٢]، مراقبة الله تعالى بالقلب في الأوقات التي لا يراه ولا يشعر به فيها أحد، ويكون حال ذكره في هذه الأوقات كحال ذكره أمام الناس، مع ضرورة استحضاره معاني الأذكار التي يذكرها بقلبه على لسانه. [٣]

والتضرع [٤] المطلوب الإتيان به في هذه الحالة معناه: التذلل والخضوع له (ﷻ) ، والخيفة معناها: الخوف منه (ﷻ)، وتخصيص الذكر بهذين الوصفين عند الإتيان به ليكون أدعى إلى المحبة والقبول.

وأمَّا الحالة الثانية فإليها الإشارة بقوله تعالى:﴿ وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ وهي مغايرة للحالة الأولى حيث عطفت عليها والعطف يقتضي المغايرة.

(١) الكشاف ١٩٢/٢، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل٣/ ٤٧، والبحر المحيط ٥/ ٢٦٢

(٢) النفس: هي الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية، وسماها الحكيم: الروح الحيوانية، فهو جوهر مشرق للبدن. فعند الموت ينقطع ضوؤه عن ظاهر البدن وباطنه. التعريفات للجرجاني صفحة ٢٤٢

(٣) البحر المحيط ٥/ ٢٦٢، والتحرير والتنوير٩/ ٢٤١

(٤) جاء في الصحاح: ضَرَعَ الرجلُ ضَراعةً، أي خضع وذلّ. الصحاح ٣/ ١٢٤٩

والجهر معناه: العلانية ورفع الصوت بالقول[١]، والمراد بما دون الجهر أن يكون ذكره وسطاً بين الإعلان والإخفاء

بحيث لا يتعدى سماعه إلى غيره، كما قال تعالى:﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ [٢]،

وقال عن زكريا (عليه السلام):﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾ [٣] . [٤]

وإنما طلب الله (سبحانه وتعالى) من العبد أن يكون ذكره لله على هذه الحالة من المخافتة حتى يكون بعيداً عن الرياء ويتحقق إخلاصه لربه،لأنّ الإخفاء أدخل في الإخلاص وأقرب إلى حسن التفكر" [٥]

أمَّا الوقتان اللذان أمر الله تعالى بالذكر فيهما فأشار إليهما بقوله: ﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾.

ووقت الغدو[٦] ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس، والآصال[٧] ما بين العصر إلى المغرب.

وقيل أراد بالغدو صلاة الصبح، والآصال صلاة العصر. [٨]

---

(١) مختار الصحاح صفحة ٦٣، ولسان العرب ٤/ ١٤٩،١٥٠

(٢) سورة الإسراء ١٧ من الآية ١١٠

(٣) سورة مريم ١٩ الآية ٣

(٤) مفاتيح الغيب ١٥/٤٤٢، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان٣/ ٣٦٨، وروح المعاني ١٠٥/٧

(٥) الكشاف ٢/ ١٩٢، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ٤٧/٣

(٦) قال الجوهري: «الغدوة»: ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس والغدو: نقيض الرواح وقوله تعالى: (بالغدو والآصال) أي بالغدوات، فعبر بالفعل عن الوقت. الصحاح ٦/ ٢٤٤٤، ومختار الصحاح صفحة٢٢٥، ولسان العرب١٥/ ١١٦

(٧) (الأصيل) الوقت بعد العصر إلى المغرب، وجمعه (أصل) و (آصال) و (أصائل) الصحاح ١٦٢٣/٤، ومختار الصحاح صفحة١٩

(٨) روي هذا عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم. جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٦٧٠/١٠، والنكت والعيون ٢٩٠/٢، و المحرر الوجيز٤٩٤/٢، و زاد المسير١٨٤/٢

وتعيين هذين الوقتين بالذكر إما على سبيل التخصيص وذلك لفضلهما لما يحدث فيهما من التغييرات العجيبة الدالة على قدرة الله ﷻ المتصف بصفات الجلال والكمال، والتي لا يقدر على فعلها أحد، وإمَّا أنَّه ذكر الغدو والآصال والمراد المداومة على ذكر الله تعالى في أي وقت كان بالليل والنهار.

يقول الفخر": "خص الغدو والآصال بهذا الذكر، والحكمة فيه أن عند الغدوة انقلب الإنسان من النوم الذي هو كالموت إلى اليقظة التي هي كالحياة، والعالم انقلب من الظلمة التي هي طبيعة عدمية إلى النور الذي هو طبيعة وجودية، وأما عند الآصال فالأمر بالضد لأن الإنسان ينقلب فيه من الحياة إلى الموت، والعالم ينقلب فيه من النور الخالص إلى الظلمة الخالصة، وفي هذين الوقتين يحصل هذان النوعان من التغيير العجيب القوي القاهر ولا يقدر على مثل هذا التغيير إلا الإله الموصوف بالحكمة الباهرة والقدرة الغير المتناهية، فلهذه الحكمة العجيبة خص الله تعالى هذين الوقتين بالأمر بالذكر، ومن الناس من قال: ذكر هذين الوقتين والمراد مداومة الذكر والمواظبة عليه بقدر الإمكان. (١)

والنهي في قوله ﴿ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ إمَّا أن يكون متوجه إلى الغفلة عن الذكر خاصة، أو عن طاعة الله تعالى في كل ما يأمر وينهى، والخطاب فيه للنبي (ﷺ) والمراد به أمته، لأنه (ﷺ) معصوم من الغفلة والخطأ. (٢)

(١) مفاتيح الغيب ١٥/ ٤٤٢، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان٣/ ٣٦٨، وروح المعاني٥/ ١٤٣
(٢) النكت والعيون٢/ ٢٩٠، والبحر المحيط ٥/ ٢٦٢

ثم ختم الله (ﷻ) السورة بما يقوي دواعي الذكر المأمور به عند الإنسان والمواظبة عليه وعدم الغفلة عنه، وذلك بذكر حال الملائكة مع ربهم فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴾.

والمفسرون مجمعون[1] على أنَّ المراد بهم الملائكة، وقد ذكر الله تعالى في هذه الآية ثلاث حالات من أحوالهم:

الأولى: عدم الاستكبار وهو المستلزم لطاعته (ﷻ).

والثانية: تنزيهه (ﷻ) عن كل ما لا يليق به وهو المراد من التسبيح.

والثالثة: تخصيصه (ﷻ) بالسجود له، والمراد به غاية التذلل والخضوع والطاعة.

يقول أبو حيان:" ولما أمر تعالى بالذكر ورغب في المواظبة عليه ذكر من شأنهم ذلك فأخبر عنهم بأخبار ثلاثة، الأول: نفي الاستكبار عن عبادته وذلك هو إظهار العبودية ونفي الاستكبار هو الموجب للطاعات كما أن الاستكبار هو الموجب للعصيان لأن المستكبر يرى لنفسه شفوفا ومزية فيمنعه ذلك من الطاعة، الثاني: إثبات التسبيح منهم له تعالى وهو التنزيه والتطهير عن جميع ما لا يليق بذاته المقدسة، والثالث: السجود له".[2]

(١) حكى القرطبي هذا الإجماع في تفسيره. الجامع لأحكام القرآن٧/ ٣٥٦

(٢) البحر المحيط ٥/ ٢٦٢

والحكمة في إخبار الله تعالى عن حال الملائكة معه هو التعريض بغيرهم من البشر، فإذا كان الملائكة المقربون – مع نهاية شرفهم وغاية طهارتهم وعصمتهم – معه (ﷻ) على هذه الأحوال من العبودية والسجود والخضوع والخشوع، فأنتم أولى بالاقتداء بهم، أولى بالمواظبة على الطاعة لكونه مبتلى بالشهوات والمعاصي، ولهذا السبب قال عيسى (عليه السلام) : ﴿وَأَوْصَنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [١]، وقال لمحمد (ﷺ) :﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [٢]. [٣]

وفي ختم الآية بذكر سجود الملائكة، مناسبة لما ورد في أولها من الأمر بالسجود لآدم (عليه السلام) ، وإباء إبليس السجود له، وهنا تتجلى صورتان: صورة مَن أعرض وابى فاستحق اللعنة من الله تعالى والبعد عن رحمته، وصورة من يلتزم ويطيع فيستحق القرب منه (ﷻ)، والدخول في رحمته(ﷻ).

(١) سورة مريم ١٩ من الآية ٣١

(٢) سورة الحجر ١٥ الآية ٩٩

(٣) مفاتيح الغيب ١٥/ ٤٤٢، ودَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر المؤلف: أبو بكر عبد القاهر الجرجاني الدار ٨٢٣/٢ ، والكشاف ١٩٣/٢، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان٣/ ٣٦٨، و روح المعاني ١٤٣/٥

الفصل الثاني

خواتم خاصة بالله تعالى

ويشتمل على الأنواع الآتية:

١ – التبجيل والتعظيم.

٢ – الوعـــد والوعيـــد.

٣ – التـــحـــمـــيـــــد.

٤ – التوحيد والتنزيه.

النوع الأول

التبجيـــل والتعظيـــم

قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١)

ختمت سورة المائدة بهذه الآية الدالة على إجلال الله (ﷻ) وتعظيمه، وبيان شمول ملكه وعموم قدرته على كل شيء، مع تفرده (ﷻ) بذلك.

وقدَّم المسند في قوله { لِلَّهِ} على المسند إليه للدلالة على التخصيص (٢)، أي أن ملك السموات والأرض مختص به تعالى، ومقصور عليه، وهذا الملك العظيم له "سبحانه" وحده لا لغيره.

يقول القشيري:" تمدّح الحقّ- سبحانه- بقدرته القديمة الشاملة لجميع المقدورات، الصالحة لإيجاد المصنوعات ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من الإبعاد والإسعاد، والصد والرد، والدفع والنفع، والقمع والمنع"(٣)

وهذه الآية الكريمة إمَّا أنَّها واردة للرد على النصارى فيما ادعوه من تعظيم عيسى (عليه السلام) وأمَّه ورفعهما إلى مقام الألوهية، فبين الله تعالى أنه المستحق للألوهية لتفرده بالخلق والملك، وعيسى وأمَّه خلق من مخلوقاته.

---

(١) سورة المائدة ٥ الآية ١٢٠

(٢) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي صفحة ١٣٦ ، وعلم المعاني المؤلف: عبد العزيز عتيق صفحة ١٤٠

(٣) لطائف الإشارات للقشيري ٤٥٩/١ ، والتيسير في التفسير المؤلف: نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي ٥٤٤/٥ م

وإمَّا أنَّها جاءت جواباً لسؤال نشأ من قوله تعالى ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [١] فكأن سائلاً سأل وقال مَن يملك ذلك ليعطيه لهم؟ فكان الجواب هو الله الذي له ملك السماوات والأرض. [٢]

يقول مقاتل: "عظَّم الرب (ﷻ) نفسه عما قَالَت النصارى من البهتان والزور أَنَّهُ لَيْسَ كَمَا زعمت وأنه واحد لا شريك له فقال- سبحانه-: لِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما فِيهِنَّ من الخلق عِيسَى ابْن مريم وغيره من الملائكة والخلق عباده وَفِي ملكه وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ من خلق عِيسَى من غَيْر أب وغيره قَدِيرٌ"[٣]

وذكر ابن عطية أنَّ: " هذا مما يقال يوم القيامة، أو أنه مقطوع مخاطب به محمد (ﷺ) وأمته". [٤]

وأتى باسم الموصول "ما " في قوله { وَما فِيهِنَّ } دون "مَنْ " مع أنَّ السماوات والأرض تشتمل على العقلاء وغيرهم، للدلالة على العموم لأنَّ "ما" وضعت لتتناول جميع الأجناس على العموم، و" مَنْ" لا تتناول غير العقلاء بأصل وضعها، وأيضاً للإشارة إلى أنَّ عقول ذوي العقول وعلوم أرباب العلوم بالنسبة إلى علمه كلا علم، وإنما هم وغيرهم تحت قهره وتسخيره سواء.

---

(١) سورة المائدة ٥ الآية ١١٩

(٢) التفسير البسيط ٦١١/٧، و مفاتيح الغيب ٤٦٩/١٢

(٣) تفسير مقاتل ٥٢٢/١، جامع البيان في تأويل آي القرآن ١٤٣/٩ ولباب التأويل في معاني التنزيل ٩٦/٢، و روح المعاني ٦٩/٤

(٤) المحرر الوجيز ٢٦٤/٢ ، والبحر المحيط ٤٢٣/٤

يقول الزمخشري: " فإن قلت: في السموات والأرض العقلاء وغيرهم، فهلا غلب العقلاء، فقيل: ومن فيهنّ؟ قلت: «ما» يتناول الأجناس كلها تناولا عاماً، ألا تراك تقول إذا رأيت شبحاً من بعيد: ما هو؟ قبل أن تعرف أعاقل هو أم غيره، فكان أولى بإرادة العموم". (١)

وقد حَسُن ختم السورة بهذه الآية الكريمة حيث جاءت برهاناً قاطعاً لما اشتملت عليه السورة من تشريعات وأحكام وآداب وهدايات، ومن حجج وأدلة ساطعة دحضت بها الأقوال الباطلة التي افتراها أهل الكتاب من اليهود والنصارى، في نسبتهم بنوة عيسى (عليه السلام) لله (عز وجل) ، أو نسبة بنوتهم له (سبحانه وتعالى) .

وفي هذا يقول الرازي: " اشتملت السورة على أنواع كثيرة من العلوم، فمنها: بيان الشرائع والأحكام والتكاليف، ومنها المناظرة مع اليهود في إنكارهم شريعة محمد (صلى الله عليه وسلم) ، ومنها المناظرة مع النصارى في قولهم بالتثليث فختم السورة بهذه النكتة الوافية بإثبات كل هذه المطالب، فإنه قال: {لله ملك السماوات والأرض وما فيهن} ومعناه أن كل ما سوى الحق سبحانه فإنه ممكن لذاته موجود بإيجاده تعالى، وإذا كان الأمر كذلك كان مالكاً لجميع الممكنات والكائنات موجداً لجميع الأرواح والأجساد، وإذا ثبت هذا لزم منه ثبوت كل المطالب المذكورة في هذه السورة. (٢)

وقال ابن عاشور: " تذييل مؤذن بانتهاء الكلام، لأن هذه الجملة جمعت عبودية كل الموجودات لله تعالى، فناسبت ما تقدم من الرد على النصارى، وتضمنت أن جميعها في تصرفه تعالى فناسبت ما تقدم من جزاء الصادقين، وفيها معنى التفويض لله تعالى في كل ما ينزل". (٣)

---

(١) الكشاف ٦٩٧/١، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ١٥٢/٢، غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٤١/٣، و البرهان ٣٠٧/٣

(٢) مفاتيح الغيب ٤٦٩/١٢ ، والبحر المحيط ٤٢٣/٤

(٣) التحرير والتنوير ١١٩/٧

النوع الثاني

الوعـد والوعـــيد

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ (١)

ختم الله (ﷻ) سورة الأنعام بهذه الآية الكريمة، والتي بين فيها ثلاث أحوال للإنسان على سبيل الإجمال وهي: حال مبدئه ووسطه ومعاده.

فقال في حالة المبدأ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ ﴾.

وقد تباينت أقوال المفسرين في الذين جعلهم الله خلائف(٢) الأرض، فقيل الخطاب عام لبني آدم جعلهم الله (ﷻ) سكاناً للأرض خلفاً لمن كانوا قبلهم من الجن، أو جعلهم بحيث يخلف بعضهم بعضاً قوماً بعد قوم ، أو أنَّهم خلفاء الله في أرضه يملكونها ويتصرفون فيها، وقيل الخطاب للنبي محمد (ﷺ) وأمته خاصة، لأنَّه خاتم النبيين فخلفت أمته جميع الأمم. (٣)

وأشار إلى حالة الوسط بقوله: ﴿ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ ﴾

---

(١) سورة الأنعام ٦ الآية ١٦٥

(٢) الخلف: القرن بعد القرن يقال: هؤلاء خلف سوء لناس لاحقين بناس أكثر منهم، والخليفة: الذي يستخلف ممن قبله، والجمع خلائف. الصحاح ٤/ ١٣٥٤، ومختار الصحاح صفحة٩٥، ولسان العرب٩/ ٨٣

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة الدينوري صفحة ١٦٤ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج٢/ ٣١٢، وتفسير ابن أبي حاتم٥/ ١٤٣٥، والنكت والعيون٢/ ١٩٦، ولباب التفاسير صفحة٣٦٢ ، والكشاف ٢/ ٨٤، ومفاتيح الغيب ١٤/ ١٩٢ ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان٣/ ١٩٤

والدرجات في الآية عامة تشمل الرفعة في المراتب الدنيوية الحسية والمعنوية من الشرف والعقل والمال والجاه والرزق، والمراد برفع البعض فوق بعض فيها: المخالفة والتفاوت بين الناس في هذه الصفات، فجعل منهم الحسن والقبيح والغني والفقير والشريف والوضيع والعالم والجاهل والقوي والضعيف. (١)

والله (ﷻ) لو شاء جعل الناس سواء في هذه الصفات، فهو المتصف بالقدرة الكاملة، والمنزه عن كل نقص، ولكن جعلهم متفاوتين ليس عن عجز أو جهل منه، وإنَّما ليكون بمثابة الاختبار للعباد في الدنيا – وهو (ﷻ) أعلم بأحوالهم – وعليه مدار الحساب والجزاء في الآخرة.

يقول الفخر:" ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ ﴾ في الشرف والعقل والمال والجاه والرزق وإظهار هذا التفاوت ليس لأجل العجز والجهل والبخل فإنه تعالى متعال عن هذه الصفات وإنما هو لأجل الابتلاء والامتحان" (٢)

وقال البقاعي:" ﴿ لِّيَبْلُوَكُمْ ﴾ أي يفعل معكم فعل المختبر ليقيم الحجة عليكم وهو أعلم بكم منكم ﴿ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ فينظر هل يرحم الجليل الحقير ويرضى الفقير بعطائه اليسير، ويشكر القوي ويصبر الضعيف! ."(٣)

---

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن١٠/ ٥٠، والكشف والبيان ٤/ ٢١٣ ، ومعاني التنزيل ٣/ ٢١٢

(٢) مفاتيح الغيب ١٤/ ١٩٢، ولباب التأويل في معاني التنزيل٢/ ١٧٩، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان٣/ ١٩٤،

(٣) نظم الدرر ٧/ ٣٤٣، وفتحُ البيان في مقاصد القرآن لمحمد صديق خان ٢٩٥/٤ م

وختم الله (ﷻ) الآية ببيان حالة المعاد فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

وقد جمع في هذه الحالة بين ما يقتضي الوعد من اتصافه تعالى بالرحمة والمغفرة، وبين ما يقتضي الوعيد من كونه سريع العقاب، لأن الجمع بين الرغبة والرهبة أبلغ في الانقياد إلى الطاعة والإقلاع عن المعصية .

ووجَّه الخطاب إلى النبي (ﷺ) خاصة، لمزيد العناية والاهتمام به (ﷺ)، تطييباً لقلبه إعلاماً بأنه رباه سبحانه أجمل تربية وأدبه أحسن تأديب: ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ أي المحسن إليك".[١]

وذكر المفسرون أقوالاً في وجه كونه سريع العقاب مع وقوعه في الآخرة فقيل إنَّ ذلك: باعتبار أنَّ كل ما هو محقق مجيئه فهو قريب، وقيل: سريع العقاب في الدنيا لمن استحق منه تعجيل العقاب فيها، أو المراد: أنه إذا شاء عاقب، فصار عقابه سريعاً لأنه يقترن بمشيئته، أو سريع العقاب لأعدائه غفور لأوليائه. [٢]

ومن حُسْن الختام هنا تغليب جانب الوعد على الوعيد، والترغيب على الترهيب حيث اقتصر في جانب الوعيد بوصف العقاب بالسرعة وأكده بمؤكد واحد مع عدم إضافته إلى نفسه فلم يقل "معاقب"، لكنه أكد جملة

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور٧/ ٣٤٣، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم٣/ ٢٠٨، وروح المعاني ٤/ ٣١٢

(٢) الكشف والبيان عن تفسير القرآن٤/ ٢١٣، والنكت والعيون٢/ ١٩٦ ، ولباب التفاسير صفحة ٣٦٢

الوعد بثلاثة مؤكدات، ووصف ذاته بالرحمة والمغفرة، وأتى بالصفتين على صيغة المبالغة.

يقول البيضاوي: " ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ﴾ لأن ما هو آت قريب أو لأنه يسرع إذا أراده ﴿ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ وصف العقاب ولم يضفه إلى نفسه، ووصف ذاته بالمغفرة وضم إليه الوصف بالرحمة، وأتى ببناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيهاً على أنه تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها كثير العقوبة مسامح فيها"(١)

وقال ابن عاشور: "ومن لطائف القرآن الاقتصار في وصف (سريع العقاب) على موكد واحد، وتعزيز وصف (الغفور الرحيم) بمؤكدات ثلاثة وهي إن، ولام الابتداء، والتوكيد اللفظي لأن (الرحيم) يؤكد معنى (الغفور) : ليطمئن أهل العمل الصالح إلى مغفرة الله ورحمته، وليستدعي أهل الإعراض والصدوف، إلى الإقلاع عما هم فيه"(٢)

وما أجمل ما ختم به الفخر تفسيره لهذه الآية حيث قال: " وهذا الكلام بلغ في شرح الإعذار والإنذار والترغيب والترهيب إلى حيث لا يمكن الزيادة عليه" (٣)

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل٢/ ١٩٢، والبحر المحيط ٤/ ٧٠٥، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان٣/ ١٩٤ ، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم٣/ ٢٠٨، وروح المعاني٤/ ٣١٢

(٢) التحرير والتنوير٨ / ٢٠٩

(٣) مفاتيح الغيب ١٩٢/١٤

النوع الثالث

التحميد والتكبير

قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾[١]

ختمت سورة الإسراء بهذه الآية الكريمة وفيها أمر من الله (ﷻ) لرسوله (ﷺ) أنْ يحمد الله تعالى ويكبره تنزيهاً له وتعظيماً لأنه لا يستحق الحمد ولا يختص به أحد سواه ، فهو المتصف بصفات الجلال والكمال، والمنزه عن النقائص.

ومعنى الحمد [٢] لله : " الشكر والثناء الكامل خالصاً لله جل ثناؤه دون سائر ما يعبد من دونه، ودون كل ما برأ من خلقه".[٣]

يقول القرطبي: "الحمد في كلام العرب معناه الثناء الكامل، والألف واللام لاستغراق الجنس من المحامد، فهو سبحانه يستحق الحمد بأجمعه إذ له الأسماء الحسنى والصفات العلا".[٤]

وبعد أنْ خصَّ الله (ﷻ) نفسه باستحقاق الحمد، علَّم نبيه (ﷺ) كيف يحمده، وذلك بأن ينفي عن ذاته (ﷻ) العليَّة ثلاث صفات من صفات السلوب [٥] :

---

(١) سورة الإسراء ١٧ الآية ١١١

(٢) الحمد: نقيض الذم، ويقال: حمدته على فعله، ومنه المحمدة خلاف المذمة، والحمد لله الشكر لله، والحمد لله الثناء. لسان العرب ١٥٥/٣

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ١٣٥/١

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٣٣/١

(٥) السلوب جمع سلب، والسلب هو النفي وصِفَاتِ السُّلُوبِ أي الصفات المنفية وهي خمسة: نَفْيُ السَّمِيّ وَالْكُفْءِ والنِّد وَالْوَلَدِ وَالشَّرِيكِ وَالْوَلِيّ مِنْ ذلّ وَحَاجَةٍ . شرح العقيدة الواسطية، المؤلف: محمد بن خليل حسن هرّاس صفحة ١٣٠ ، والتحفة الندية شرح العقيدة الواسطية المؤلف: د. عبد الرحمن بن عبد العزيز العقل صفحة ١٢٠،١٢٢، وتوضيح مقاصد المصطلحات العلمية في الرسالة التدمرية المؤلف: محمد بن عبد الرحمن الخميس صفحة ٣٣

أمَّا الأولى فهي عدم اتخاذه ولداً فإليها الإشارة بقوله:﴿ ٱلَّذِى لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا ﴾

وحمد الله تعالى على هذه الصفة إمَّا أن يكون المعنى حمده تعالى أن عرَّفنا هذه النعمة ، وإمَّا أن يكون معناه تنزيهه تعالى عن اتخاذ الولد، وبطلان ما ادعاه اليهود والنصارى والعرب من نسبة الولد إليه سبحانه وتعالى.

يقول البغوي: " ومعنى الحمد لله هو: الثناء عليه بما هو أهله، وقال الحسين بن الفضل: يعني: الحمد لله الذي عرفني أنه لم يتخذ ولدا".(١)

وقال ابن عطية:﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ﴾.... الآية، هذه الآية رادة على اليهود والنصارى والعرب في قولهم أفذاذا: عزير وعيسى والملائكة ذرية لله سبحانه وتعالى عن أقوالهم.(٢)

وقد ذكر الفخر في سبب عدم اتخاذه ولداً وجوهاً منها: "أن الولد هو الشيء المتولد من جزء من أجزاء شيء آخر فكل من له ولد فهو مركب من الأجزاء والمركب محدث والمحدث محتاج لا يقدر على كمال الإنعام فلا يستحق كمال الحمد".(٣)

وأمَّا الصفة الثانية فهي عدم مشاركة أحد له في ملكه، وأشار إليها بقوله﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ ﴾

(١) معالم التنزيل ٥/ ١٣٩، والتيسير في التفسير ٩/ ٤٩٤ ، والنكت والعيون٣/ ٢٨٢

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤٩٢، والجامع لأحكام القرآن١٠/ ٣٤٥، والبحر المحيط ٧/ ١٢٨، وتفسير الإيجي٢/ ٤٢٢، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم٥/ ٢٠١، وروح المعاني٨/ ١٨٣

(٣) مفاتيح الغيب ٢١/٤١٩

وحمد الله تعالى على ذلك لأنه لو كان له شريك في ألوهيته أو ربوبيته لكان متصفاً بالعجز والضعف لاحتياجه إلى مَن يساعده ويعينه، ولا يستحق الحمد مَن هذه صفته، وفي هذا ردٌ على مَن اتخذوا شركاء لله من العرب وغيرهم.

يقول الطبري: "﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ ﴾ فيكون عاجزاً ذا حاجة إلى معونة غيره ضعيفا، ولا يكون إلها من يكون محتاجا إلى معين على ما حاول، ولم يكن منفردا بالملك والسلطان "(١)

وقال الألوسي: " ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ ﴾ ظاهره أنه ردٌّ على الثنوية وهم المشركون في الربوبية، ويجوز أن يكون كناية عن نفي الشركة في الألوهية فيكون ردا على الوثنية"(٢)

والصفة الثالثة في الآية أخبر بها في قوله: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ﴾

والمراد من عدم اتخاذه (ﷻ) ولياً(٣) من الذل(٤): أنَّه لم يكن له ناصر ينتصر به ويقويه لضعف وقع به.

---

(١) جامع البيان ١٥/ ١٣٧، ومفاتيح الغيب ٢١/ ٤١٩، ولباب التأويل في معاني التنزيل٣/ ١٥٠

(٢) روح المعاني٨/ ١٨٣، وتفسير الإيجي ٢/ ٤٢٢، وإرشاد العقل السليم ٥/ ٢٠١

(٣) الولاية بالفتح والكسر النصرة، وفي أسماء الله تعالى: الولي هو الناصر، والمولى: الناصر والجار والحليف. الصحاح ٦/ ٢٥٣٠، ومختار الصحاح صفحة ٣٤٥، ولسان العرب ١٥/ ٤٠٦

(٤) الذل: ضد العز ورجل ذليل بين الذل والذلة والمذلة، من قوم أذلاء وأذلة، وتذلل له أي خضع، وفي أسماء الله تعالى: المذل وهو الذي يلحق الذل بمن يشاء من عباده وينفي عنه أنواع العز جميعها. الصحاح ٤/ ١٧٠١، ومختار الصحاح صفحة ١١٣،ولسان العرب١١/ ٢٥٧

أو المعنى لم يتخذ حليفاً أو ناصراً من ذل أصابه فهو العزيز الذي لا يغالب.

أو المقصود لم يكن له حبيب من أهل الذل وهم اليهود والنصارى، بل أولياؤه المؤمنون.

يقول القرطبي: " ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ﴾ قال مجاهد: المعنى لم يحالف أحداً ولا ابتغى نصر أحد، أي لم يكن له ناصر يجيره من الذل فيكون مدافعاً، وقال الكلبي: لم يكن له ولي من اليهود والنصارى، لأنهم أذل الناس، رداً لقولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه، وقال الحسن بن الفضل: ولم يكن له ولي من الذل" يعني لم يُذل فيحتاج إلى ولي ولا ناصر لعزته وكبريائه. (١)

وجاء نفي الولد والشريك على العموم بخلاف نفي الولاية فخصت بكونها من الذل، لأن ولاية الفضل والرحمة موجودة للصالحين من عباده .

يقول أبو حيان: " ولما كان اتخاذ الولي قد يكون للانتصار والاعتزاز به والاحتماء من الذل وقد يكون للتفضل والرحمة لمن والى من صالحي عباده كان النفي لمن ينتصر به من أجل المذلة، إذ كان مورد الولاية يحتمل هذين الوجهين فنفى الجهة التي لأجل النقص بخلاف الولد والشريك فإنهما نفيا على الإطلاق". (٢)

---

(١) الجامع لأحكام القرآن١٠/ ٣٤٥ ، وجامع البيان للطبري ١٥/ ١٣٧، وبحر العلوم ٢/ ٣٣٣ ، والنكت والعيون٣/ ٢٨٢، والتفسير البسيط١٣/ ٥١٥، والتيسير في التفسير ٩/ ٤٩٤، و مدارك التنزيل وحقائق التأويل٢/ ٢٨٣

(٢) البحر المحيط ٧/ ١٢٨، والمحرر الوجيز٣/ ٤٩٢

والإتيان بهذه الصفات الثلاثة عقب الأمر بحمده تعالى إيذان منه تعالى بأنه لا يستحق الحمد إلا مَن كانت هذه صفاته، ولله درُّ الإمام الزمخشري حينما أشار إلى هذا المعنى فقال: " فإن قلت: كيف لاق وصفه بنفي الولد والشريك والذل بكلمة التحميد ؟ قلت: لأنّ من هذا وصفه هو الذي يقدر على إيلاء كل نعمة، فهو الذي يستحق جنس الحمد".(١)

وختم الله (ﷻ) الآية بالأمر بالتكبير(٢) فقال تعالى﴿ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾.

والمعنى: عظمه تعظيماً يليق بجلاله، وقد ذكر المفسرون أنَّ هذه أبلغ لفظة وردت عن العرب في معنى تعظيم الله وإجلاله، وجاءت مؤكدة بالمصدر للتأكيد والتحقيق. (٣)

وهذا التكبير والتعظيم عام فيشمل أنواعاً عدة منها: تكبيره في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه . (٤)

يقول الألوسي:" ﴿ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ والتكبير أبلغ لفظة للعرب في معنى التعظيم والإجلال، وفي الأمر بذلك بعد ما تقدم مؤكدا بالمصدر المنكر من غير تعيين لما يعظم به تعالى إشارة إلى أنه مما لا تسعه العبارة ولا تفي به القوة البشرية وإن بالغ العبد في التنزيه والتمجيد واجتهد في العبادة

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل٢/ ٧٠١، وإرشاد العقل السليم ٥/ ٢٠١

(٢) (كَبُرَ) أَيْ عَظُم، و(التَّكْبِيرُ) التَّعْظِيمُ، وأكبرت الشئ، استعظمته، والكبير في صفة الله تعالى: العظيم الجليل. الصحاح ٢/ ٨٠٢، ومختار الصحاح صفحة٢٦٥، ولسان العرب ٥/ ١٢٥

(٣) التيسير في التفسير ٩/ ٤٩٤، والمحرر الوجيز ٣/ ٤٩٢، والجامع لأحكام القرآن١٠/ ٣٤٥، والبحر المحيط ٧/ ١٢٨

(٤) ذكر هذه الأنواع بالتفصيل الإمام الفخر الرازي في تفسيره. مفاتيح الغيب٢١/ ٤١٩، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان٤/ ٣٩٨

والتحميد فلم يبق إلا الوقوف بإقدام المذلة في حضيض القصور والاعتراف بالعجز عن القيام بحقه جل وعلا وإن طالت القصور".[١]

وقد ورد في فضل هذه الآية أنَّ النبي (ﷺ) كان يسميها (بآية العز)[٢]، وكان إذا أفصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية. [٣]

ومن حسن الختام في هذه السورة أنَّها ختمت بما ابتدأت به من تنزيه الله تعالى، والأمر بالتحميد والتكبير يتناسب مع بدايتها أيضاً من الحديث عن الإسراء والمعراج وما فيهما من نصر له (ﷺ) مما استدعى تحميداً وتكبيراً لله (ﷻ).

---

(١) روح المعاني٨/ ١٨٣

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل المؤلف: الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ) حديث رقم ١٥٦٣٤ المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة وقال المحقق (إسناده ضعيف)، والدعاء للطبراني المؤلف: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠ هـ) ١٧٣٢/٤٩٢ المحقق: مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٣

(٣) المصنف: المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي (ت ٢٣٥ هـ) ٤٩٣/١٦ حديث رقم ٣٢٢٨٤ المحقق: سعد بن ناصر بن عبد العزيز أبو حبيب الشثري تقديم: ناصر بن عبد العزيز أبو حبيب الشثري الناشر: دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م، وعمل اليوم والليلة المؤلف: أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أسباط بن عبد الله بن إبراهيم بن بُدَيْح، الدِّيْنَوَرِيُّ، المعروف بـ «ابن السُّنِّي» (ت ٣٦٤هـ) ٤٢٤/٣٧٤ المحقق: كوثر البرني الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن - جدة / بيروت

النوع الرابع

الدعوة إلى التوحيد

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ (١)

ختمت سورة الكهف بهذه الآية الكريمة، والتي تحدثت عن الدار الاخرة وما يجب على مَنْ يرجو لقاء ربه، من توحيد الله تعالى، والعمل الصالح الذي لا يخالطه إشراك.

وقد أمر الله (ﷻ) نبيه (ﷺ) أن يخبر قومه أولاً أنَّه بشر مثلهم، بقوله { قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ }، ليكون إقرار منه (ﷺ) بأنَّه آدمي ليس ملكاً ولا غير بشر إلا أنَّه مفضلٌ عليهم بالوحي، وفيه أيضاً تعليم منه (ﷺ) له (ﷺ) أن يتواضع لهم وألا يتكبر عليهم.

قال ابن عباس: (علَّم الله رسوله التواضع لئلا يزهو(٢) على خلقه) (٣) ، وهذا أمر من الله لرسوله بأن يقر على نفسه بأنه آدمي كغيره، إلا أنه أكرم بالوحي".(٤)

---

(١) سورة الكهف ١٨ الآية ١١٠

(٢) الزهو: الكبر والفخر، وقد زهي الرجل فهو مزهو، أي تكبر. الصحاح ٦/ ٢٣٧٠، ولسان العرب ٣٦١/١٤

(٣) ذكر هذا الأثر عن ابن عباس كثير من المفسرين. الكشف والبيان ٦/ ٢٠٢، ومعالم التنزيل٥/ ٢١٢، وزاد المسير ٣/ ١١٤، ولباب التأويل ٣/ ١٨٠

(٤) التفسير البسيط١٤/ ١٧٥

ثم بيَّن الموحى إليه بقوله ﴿ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ ﴾، والمعنى: "معبودكم الذي يجب عليكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، معبود واحد لا ثاني له، ولا شريك له في الخلق ولا في سائر أحكامِ الألوهيةِ ".(١)

وقد خص الدعوة إلى الوحدانية بالذكر من بين جملة يوحى به إليه، لأنَّ قومه كانوا كفاراً يعبدون الأصنام من ناحية، وأيضاً فيها شاهداً على صدقه (ﷺ) في دعوته، فإن من علامات صدق مدعي النبوة أن يدعو إلى التوحيد، ثم أن يدعو إلى العمل الصالح المقترن بالإخلاص".(٢)

وأتى بجملة ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ﴾ مفرعة(٣) عما قبلها، لأنَّها مما أوحى به الله (ﷻ) إليه (ﷺ)، بعد التوحيد.

يقول ابن عاشور: " وتفريع ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ﴾ هو من جملة الموحى به إليه، أي يوحى إلي بوحدانية الإله وبإثبات البعث وبالأعمال

---

(١) جامع البيان للطبري١٥/٤٣٩، إرشاد العقل السليم ٥/٢٥١

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز٣/ ٥٤٧، والبحر المحيط ٧/ ٢٣٤ ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان٤/ ٤٦٤

(٣) التفريع : من البديع ، هو كما قال العلوي: تفعيل من قولك فرّعت هذا إذا قررته على أصله، وأما مفهومه في مصطلح علماء البلاغة فهو عبارة عن إتيانك بقاعدة تكون أصلاً ومقدمة لما تريده من المدح أو الذم ثم تأتى بعد ذلك بتفصيل المديح وتعيّنه بعد إجمالك له أولاً، فالكلام الأول يؤتى به على جهة المقدمة، وبالآخر على جهة الإكمال والتتميم والتفريع لما أصلته من قبل ، ومنه قوله تعالى {فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السمآء بما كانوا يفسقون} سورة البقرة ٢ الآية ٥٩ ، أي: فتفرع على فسقهم عن طاعة الله بتبديل القول الذي قيل لهم معاقبتهم بإنزال الرجز (العذاب) من السماء عليهم .

الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز المؤلف: يحيى العلويّ ٣/٧٢،٧٣ ، والبلاغة العربية لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة ٢/٤٢٦

الصالحة فجاء النظم بطريقة بديعة في إفادة الأصول الثلاثة، إذ جعل التوحيد أصلاً لها وفرَّع عليه الأصلين الآخرين. (١)

والرجاء(٢) في الآية إمَّا أن يُراد به الخوف، وإمَّا أن يكون على حقيقته من الأمل والطمع.

وإذا فُسِّر الرجاء بالخوف يكون المعنى: فمن خاف سوء لقائه وعذابه على المعصية، أمَّا على تفسير الرجاء بالأمل يكون المراد من اللقاء إمَّا لقاء ثوابه على الطاعة، أو رؤيته تعالى بعد البعث على ما ذهب إليه أهل السنة، وهو أولى لما فيه ترغيب النفس إلى إحسانه(ﷻ). (٣)

قال ابن عطية:" ويَرْجُوا على بابها، وقالت فرقة: يَرْجُوا بمعنى يخاف، وكل موقن بلقاء ربه، فلا محالة أنه بحالتي خوف ورجاء، فلو عبر بالخوف لكان المعنى تاما على جهة التخويف والتحذير، وإذا عبر بالرجاء فعلى جهة الإطماع وبسط النفوس إلى إحسان الله تعالى، أي فَمَنْ كانَ يَرْجُوا النعيم المؤبد من ربه". (٤)

---

(١) التحرير والتنوير ١٦/ ٥٤

(٢) الرجاء من الامل ممدود ؛ يقال: رجوت فلانا رجوا ورجاء ورجاوة، وقد يكون الرجو والرجاء بمعنى الخوف. الصحاح ٦/ ٢٣٥٢، ومختار الصحاح صفحة ١١٩ ، ولسان العرب ٣١٠،٣٠٩/١٤

وقد أتى المعنيان في القرآن الكريم يقول أبو هلال العسكري: " والرجاء في القرآن على وجهين: الأول: الأمل؛ قال الله: (وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ)، الثاني: الخوف، قال تعالى: (فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ) . الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري صفحة ٢٣١

(٣) النكت والعيون٣/ ٣٤٩ ، والتفسير البسيط١٤/ ١٧٥، ومعالم التنزيل٥/ ٢١٢، وزاد المسير ٣/ ١١٤ ، والتيسير في التفسير ١٠/ ،١٥٧، ومدارك التنزيل ٢/ ٣٢٣

(٤) المحرر الوجيز٣/ ٥٤٧، والبحر المحيط ٧/ ٢٣٤

ولمَّا كان المطلوب من المؤمن أن يداوم على هذا الرجاء، أدخل الفعل (كان) ماضياً على الفعل (يرجو) مضارعاً.

يقول أبو السعود: " وإدخالُ الماضي على المستقبل للدِلالة على أن اللائقَ بحال المؤمن الاستمرارُ والاستدامةُ على رجاء اللقاءِ أي فمن استمر على رجاء كرامتِه تعالى". (١)

وعبَّر بلفظ الرب في قوله: ﴿ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ﴾ دون (لقاء الله)، لأن الرب هو الذي شمل إحسانه كل أحد، والمالك لكل شيء، والمستحق والصاحب له، والمصلح والقائم على الشيء، وله الفضل على جميع الخلق .

يقول البقاعي : "وإنما قال: ﴿ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ﴾ تنبيهاً على أنه (ﷻ) هو المحسن إلى كل أحد بالتفرد بخلقه ورزقه، لا شريك له في شيء من ذلك، على قياس ما نعلمه من أنه لا مالك إلا وهو قاهر لمملوكه على لقائه، مصرف له في أوامره في صباحه ومسائه " . (٢)

ووضع الظاهر مكان الضمير في قوله ﴿ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ﴾ ، وقوله ﴿ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ ﴾ بدلاً من { لقائه} و{بعبادته}، والإتيان بلفظ الرب ، لزيادة تقريرهم بكونه ربهم ، ولتعليل الأمر والنهي، وهذا خروج بالكلام عن مقتضى الظاهر.

يقول أبو السعود : ووضع الظاهر موضع الضمير في الموضعين مع التعرض لعنوان الربوبية لزيادة التقرير، وللإشعار بِعِلِّيَّة العنوان للأمر والنهي، ووجوب الامتثال فعلاً وتركاً . (٣)

---

(١) إرشاد العقل السليم ٥/ ٢٥١، وروح المعاني٨/ ٣٧٢

(٢) نظم الدرر ١٥٣/١٢

(٣) إرشاد العقل السليم ٢٥١/٥ ، روح المعاني ٣٧٣/٨

وجمهور المفسرين على أنَّ المراد بالعمل الصالح في قوله تعالى:{ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صالِحاً } الخالص له (ﷻ) الذي لا رياء فيه . [١]

وأكد الفعل ﴿ فَلْيَعْمَلْ ﴾ بمصدره: " للإعلام بأنه لابد مع التصديق من الإقرار فقال: {عملاً} أي ولو كان قليلاً {صالحاً}، وهو ما يأمره به من أصول الدين وفروعه من التوحيد وغيره من أعمال القلب والبدن والمال ليسلم من عذابه".[٢]

و قوله تعالى:﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ إمَّا أن يراد به الشرك الجلي كالذي فعله الذين كفروا بآيات ربِّهم ولقائه، أو الخفي وهو الرياء، كمن يطلب بعمله أجراً من المدح وغيره، وهذا هو الأظهر، ويؤيده سبب نزول الآية [٣]، وعليه كثير من المفسرين . [٤]

---

(١) جامع البيان للطبري١٥/ ٤٣٩، وبحر العلوم٢/ ٣٦٥، والتفسير البسيط١٤/ ١٧٥، و معالم التنزيل٥/ ٢١٢، والكشاف ٢/ ٧٥٠، وزاد المسير ٣/ ١١٤، والجامع لأحكام القرآن١١/ ٦٩، وأنوار التنزيل ٣/ ٢٩٥ مدارك التنزيل ٢/ ٣٢٣

(٢) نظم الدرر ١٥٣/١٢

(٣) فقد ورد فيه أحاديث كثيرة منها : ما روي من أن جندب بن زهير قال لرسول الله ﷺ:إني أعمل العمل لله تعالى فإذا اطلع عليه سرني فقال لي: إن الله تعالى لا يقبل ما شورك فيه فنزلت الآية تصديقا له ﷺ ، وروي نحو هذا عن مجاهد وطاووس. أسباب نزول القرآن للواحدي ٣٠٧/١ رقم ٦٠٣ ، وجامع البيان في تأويل القرآن ١٣٦/١٨ .

وقد سمَّى رسول الله ﷺ الرياء شركاً حيث قال: " إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر" قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: " الرياء، يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة: إذا جزي الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء " مسند الإمام أحمد ٣٩/٣٩ رقم ٢٣٦٣٠ تحقيق : شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد وآخرون، وقال المحقق : حديث حسن.

(٤) النكت والعيون٣/ ٣٤٩، التفسير البسيط ١٧٦/١٤، والتيسير في التفسير ١٠/ ١٥٧ الكشاف ٧٥١،٧٥٠/٢ ، أنوار التنزيل ٢٩٥/٣ ، إرشاد العقل السليم ٢٥١/٥ ، البحر المديد ٣١٤/٣ ، محاسن التأويل ٨٢/٧

يقول الألوسي : "ويؤيد إرادة عدم الرياء: تقديم الأمر بالعمل الصالح على هذا النهي فإن وجهه حينئذ ظاهر إذ يكون الكلام في قوة قولك من كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً في نفسه ولا يُري بعمله أحداً فيفسده" . (١)

وخُتمت الآية الكريمة بهذا الأسلوب البديعي وهو : "رد العجز على الصدر: حيث أكد الإخبار بالوحدانية بالنهي عن الإشراك بعبادة الله تعالى" . (٢)

كما أن عجز السورة جاء مطابقاً لصدرها أيَّما مطابقة: فقد تحدث الله (ﷻ) في أولها عن إنزاله القرآن الكريم لهداية الناس إلى الطريق الأقوم(٣)، مع تبشير المؤمنين، وإنذار الكافرين، وهو ما خُتمت به السورة في الحديث عن الكتاب، وإثبات الوحدانية ، والنهي عن الشرك .

وقد جاء ختام السورة مطابق لأولها أعظم مطابقة وذلك: "بوصف كلمات الله ثم ما يوحى إليه، وكل منهما أعم من الكتاب بالأقومية، للدعاء إلى الحال الأسلم، في الطريق الأقوم، وهو التوحيد عن الشريك الأعم من الولد وغيره، والإحسان في العمل، مع البشارة لمن آمن، والنذارة لمن أعرض عن الآيات والذكر، فبان بذلك أن لله (ﷻ) بوحدانيته وتمام علمه وشمول قدرته صفات الكمال، فصح أنه المستحق لجميع الحمد" . (٤)

---

(١) روح المعاني ٣٧١/٨-٣٧٥

(٢) التحرير والتنوير ٥٤،٥٥/١٦

(٣) قال ابن منظور: القَوامُ: العَدْل؛ قَالَ تَعَالَى: (وَكانَ بَيْنَ ذلِكَ قَواماً) سورة الفرقان ٢٥ من الآية ٦٧؛ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) سورة الإسراء ١٧ من الآية ٩؛ وقَالَ الزَّجَّاجُ: مَعْنَاهُ لِلْحَالَةِ الَّتِي هِيَ أَقْوَمُ الحالاتِ . لسان العرب ٤٩٩/١٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٢٩/٣

(٤) نظم الدرر ١٥٢/١٢-١٥٤

الفصل الثالث

خواتم خاصة بالرسول (ﷺ)

ويشتمل على الأنواع الآتية:

١ – وصفه ومدحه (ﷺ).

٢ – تسليتـــــــــه (ﷺ).

٣ – الدفـــــاع عنه (ﷺ).

٤ – وصـــيـــتـــــــه (ﷺ).

النوع الأول

وصفه ومدحه (ﷺ)

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١)

أتت هذه الآية في ختام سورة التوبة وفيها امتنان من الله (ﷻ) ببعثة النبي محمداً (ﷺ) المتصف بالصفات الجامعة للكمال والخير في الدنيا والآخرة، وقد ذكر الله (ﷻ) فيها خمسة أوصاف من أوصافه (ﷺ):

أمَّا الوصف الأول ففي قوله: {لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ}.

والمراد بمجيئه (ﷺ) إليهم: ظهوره فيهم، حيث إنَّه كان موجوداً بينهم ولم يأتهم من مكان آخر.

يقول ابن عاشور:" والمجيء: مستعمل مجازاً في الخطاب بالدعوة إلى الدين، شبه توجهه إليهم بالخطاب الذي لم يكونوا يترقبونه بمجيء الوافد إلى الناس من مكان آخر".(٢)

والمخاطبون في الآية إمَّا أهل مكة خاصة وكونه (ﷺ) من أنفسهم يعني يعرفون نسبه وحسبه وأنَّه لم يأت من سفاح بل أتى من نكاح (٣)، وهو معروف عندكم بالصدق والأمانة والعفاف. (٤)

---

(١) سورة التوبة ٩ الآية ١٢٨

(٢) التحرير والتنوير ١١/ ٧٠ ، و بحر العلوم٢/ ١٠٠

(٣) وقد أكد النبي ﷺ على هذا في أحاديث كثيرة منها: ما روي عن ابن عباس ﷺ قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا وَلَدَنِي مِنْ سِفَاحِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ شَيْءٌ، وَمَا وَلَدَنِي إِلَّا نِكَاحٌ كَنِكَاحِ الْإِسْلَامِ» المعجم الكبير للطبراني ٣٢٩/١٠ حديث رقم١٠٨١٢، والسنن الكبرى للبيهقي ٣٠٧/٧ حديث رقم ١٤٠٧٦

(٤) مفاتيح الغيب ١٦/ ١٧٧، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان٣/ ٥٥٠

وإمَّا العرب عامة والمراد بكونه (ﷺ) من أنفسهم "من جميعهم"، حيث إنَّ نسبه (ﷺ) يتصل بجميع العرب [١]، وهذا فيه مدح لنسبه (ﷺ) وأنه من صميم العرب، والغرض منه ترغيبهم في نصره والإيمان به فإنَّ شرفكم بشرفه وعزتكم بعزته.[٢]

وقيل إنَّ المخاطبين جميع البشر[٣]، ومعنى أنه (ﷺ) من جنسهم أي آدمي مثلهم، يعني لم يكن من جنس آخر كالملائكة لتحصل الألفة والمؤانسة، لأن الجنس يميل إلى جنسه. [٤]

يقول السمرقندي:" {لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ}، قال مقاتل: يعني: يا أهل مكة قَدْ جاءكم رسول من أنفسكم تعرفونه ولا تنكرونه، ويقال: هذا الخطاب لجميع العرب لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ يعني: محمدا (ﷺ) مِنْ أَنْفُسِكُمْ يعني: من جميع العرب، لأنه لم يكن في العرب قبيلة إلا ولرسول الله (ﷺ) فيها قرابة، ويقال: هذا الخطاب لجميع الناس لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ يعني: آدمياً مثلكم" . [٥]

والوصف الثاني له (ﷺ) جاء في قوله:﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾.

---

(١) روى هذا المعنى ابن عباس ﷺ أنَّه قال: ليس في العرب قبيلة إلّا وقد ولدت النبي ﷺ مضريها وربيعها ويمانيها. الكشف والبيان ٥/ ١١٤، والتفسير البسيط١١/ ١٠٥ ، وفتح القدير للشوكاني ٢/٤٧٧

(٢) المحرر الوجيز٣/ ١٠٠ ، ولباب التأويل ٢/ ٤٢٤، والبحر المحيط ٥/ ٥٣١

(٣) ذكر هذا القول الزجاج وقال عقبه: " أي فهو أوكد للحجة عليكم لأنكم تفهمون عمن هو مثلكم". معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢/ ٤٧٧

(٤) مفاتيح الغيب ١٦/ ١٧٧، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان٣/ ٥٥٠

(٥) بحر العلوم٢/ ١٠٠، والنكت والعيون٢/ ٤١٧ ، وزاد المسير٢/ ٣١٣

والعنت هو: الوقوع في أمر شاق، ويطلق على الإثم أيضاً. (١)

والعزة (٢) في قوله ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾ معناها: الصعوبة والشدة، أي يصعب عليه ويشتدُّ دخول المشقة عليكم.

وهذا الوصف يعتبر كالنتيجة لقوله ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ فلأجل أنَّه (ﷺ) من جنسكم ومبعوثاً لهدايتكم يصعب عليه أن يصيبكم أي مكروه وسوء.

يقول الزمخشري: " ثم ذكر ما يتبع المجانسة والمناسبة من النتائج بقوله ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي شديد عليه شاق- لكونه بعضاً منكم- عنتكم ولقاؤكم المكروه، فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب". (٣)

واختلف المفسرون في المراد بالعنت الذي يعزُّ عليه (ﷺ) أن يلحق بهم: فقيل كفرهم وضلالهم، أو قتلهم وأسرهم في الدنيا وعذابهم في الآخرة، أو عنت المؤمنين منهم، والأولى أن يكون عاماً فيشمل هذا وغيره. (٤)

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج٢/ ٤٧٧، والصحاح ١/ ٢٥٨، ومختار الصحاح صفحة ٢١٩، ولسان العرب ٢/ ٦٢

(٢) يقول الراغب: "العِزَّةُ: حالةٌ مانعة للإنسان من أن يغلب، يقال: عَزَّ عَلَيَّ كذا: صَعُبَ، قال: {عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ}أي: صَعُبَ. المفردات صفحة ٥٦٣، ولسان العرب٥/ ٣٧٥

(٣) الكشاف ٢/ ٣٢٥، وفتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب٧/ ٤٠٨، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان٣/ ٥٥٠، وإرشاد العقل السليم ٤/ ١١٤، وفتح البيان في مقاصد القرآن٥/ ٤٣١

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ١٠٠، وجامع البيان للطبري ١٢/ ٩٦، والنكت والعيون٢/ ٤١٧، وزاد المسير٢/ ٣١٣، والبحر المحيط ٥/ ٥٣١، وفتح البيان في مقاصد القرآن٥/ ٤٣١

ولإفادة حصول معزته (ﷺ) فيما وقع لهم في الماضي من الشدائد كالقتل والأسر عبَّر بـ "ما" المؤولة مع الفعل بعدها بمصدر والتقدير "عنتكم" ولو أتي بالمصدر لم يكن مشيرا إلى عنت معين ولا إلى عنت وقع لأن المصدر لا زمان له بل كان محتملا أن يعز عليه بأن يجنبهم إياه، ولكن مجيء المصدر منسبكاً من الفعل الماضي يجعله مصدراً مقيداً بالحصول في الماضي. (١)

والوصف الثالث له (ﷺ) أُشير إليه بقوله:﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾

والحرص (٢) من الأعمال التي لا تتعلق بالذوات، فيكون معنى حريص عليكم أي على هداكم وإيمانكم ونفعكم. (٣)

والفرق بين هذا الوصف والذي قبله أنَّ قوله ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ يفيد معزته (ﷺ) في دفع المضار والمكاره عنهم، أمَّا قوله تعالى ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ فأفاد محبته (ﷺ) في جلب المنافع لهم في الدنيا والآخرة.

يقول النيسابوري: "﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ الحرص يمتنع أن يتعلق بذواتهم فالمراد حريص على إيصال الخيرات إليكم في الدارين فالصفة الأولى لدفع الآفات والثانية لإيصال الخيرات والسعادات فلا تكرار"(٤)

---

(١) التحرير والتنوير١١/ ٧٠

(٢) جاء في لسان العرب: "الحِرْصُ: شدّةُ الإرادة والشَّرَه إلى الْمَطْلُوبِ، وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: الحِرْصُ الجَشَعُ. لسان العرب ٧/ ١١، والصحاح ١٠٣٢/١٠

(٣) قال الأَزهري: قَوْلُ الْعَرَبِ حَرِيصٌ عَلَيْكَ مَعْنَاهُ حَرِيصٌ عَلَى نَفْعِك". تهذيب اللغة للأزهري ١٤٠/٤

(٤) غرائب القرآن ورغائب الفرقان٣/ ٥٥٠ ، ومفاتيح الغيب ١٦/ ١٧٧، والبحر المحيط ٥/ ٥٣١، والتحرير والتنوير١١/ ٧٠

أمَّا الوصفان الرابع والخامس له (ﷺ) فإليهما الإشارة بقوله ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

وقد سمَّاه الله (ﷻ) بهذين الوصفين أيضاً، ولم يجمع بينهما لأحد من النبيين غيره (ﷺ)، وهذه هي الغاية في التكريم.(١)

والرأفة هي: "شدة الرحمة وأرقها" (٢)، وكونه رؤوفاً بهم يعني مبالغ في شفقته عليهم.

والرحيم: اسم مشتق من الرحمة للمبالغة فيها، ومعناها الرقة والتعطف. (٣)

ولإفادة الحصر واختصاص رأفته (ﷺ) بالمؤمنين دون غيرهم من الكافرين والمنافقين، قدَّم المتعلَّق على متعلقه وكان السياق يقتضي { رَؤُفٌ رَحِيمٌ بِالْمُؤْمِنِينَ }، كما جاء في سابقيه.

يقول البقاعي: "وقدم الجار لإفادة الاختصاص فقال: {بالمؤمنين} أي العريقين في هذا الوصف كافة خاصة".(٤)

---

(١) روي عن ابن عباس- رضي الله عنهما- أنَّه قال: "سماه الله تعالى باسمين من أسمائه"، وقال الحسين بن الفضل: لم يجمع الله لأحد من الأنبياء اسمين من أسمائه إلا للنبي محمد ﷺ . التفسير البسيط١١/ ١٠٥، وتفسير القرآن للسمعاني٢/٣٦٣، وزاد المسير ٢/ ٣١٣، ومدارك التنزيل ١/ ٧١٩، ولباب التأويل ٢/ ٤٢٤

(٢)مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٠٧،٥٩/١ ، ومختار الصحاح صفحة ١١٥، ولسان العرب٩/ ١١٢

(٣) الصحاح ٥/ ١٩٢٩، ومختار الصحاح صفحة١٢٠، ولسان العرب١٢/ ٢٣١

(٤) نظم الدرر ٩/ ٥٥ ، ومفاتيح الغيب ١٦/ ١٧٧، والبحر المحيط ٥/ ٥٣١، والتحرير والتنوير١١/ ٧٠

ولمراعاة فواصل الآية قدِّمت الرأفة على الرحمة ولأنَّها أبلغ ، وقيل لأنَّ الرحمة يغلب استعمالها في جلب النفع، والرأفة في رفع الضرر، وهو مقدَّم على جلب النفع.

وقال الألوسي: " ﴿ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ قيل: قدَّم الأبلغ منهما وهو الرأفة التي هي عبارة عن شدة الرحمة رعاية للفواصل وهو أمر مرعي في القرآن، وقد يقال: تقديم الرأفة باعتبار أن آثارها دفع المضار وتأخير الرحمة باعتبار أن آثارها جلب المنافع والأول أهم من الثاني ولهذا قدمت في قوله (ﷻ):﴿ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا ﴾ [1] ولا يجري هنا أمر الرعاية كما لا يخفى، وكأن الرأفة على هذا مأخوذة من رفو الثوب لإصلاح شقه، فيكون في وصفه (ﷺ) بما ذكر وصف له بدفع الضرر عنهم وجلب المصلحة لهم" . [2]

وقد جاءت هذه الخاتمة لهذه السورة في غاية الحسن ونهاية الكمال فقد بينت كما ذكر الفخر الرازي: " أنَّ هذا الرسول منكم، فكل ما يحصل له من العز والشرف في الدنيا فهو عائد إليكم، وأيضاً فإنه بحال يشق عليه ضرركم وتعظم رغبته في إيصال خير الدنيا والآخرة إليكم، فهو كالطبيب المشفق والأب الرحيم في حقكم، والطبيب المشفق ربما أقدم على علاجات صعبة يعسر تحملها، والأب الرحيم ربما أقدم على تأديبات شاقة، إلا أنَّه لما عرف أن الطبيب حاذق، وأن الأب مشفق، صارت تلك المعالجات المؤلمة متحملة، وصارت تلك التأديبات جارية مجرى الإحسان، فكذا هاهنا لما عرفتم أنَّه رسول حق من عند الله، فاقبلوا منه هذه التكاليف الشاقة لتفوزوا بكل خير". [3]

---

(١) سورة الحديد ٥٧ من الآية ٢٧

(٢) روح المعاني٦/ ٤٨، وأنوار التنزيل ٣/ ١٠٣، وإرشاد العقل السليم ٤/ ١١٤، وفتح البيان ٥/ ٤٣١

(٣) مفاتيح الغيب ١٦/ ١٧٧ ، و غرائب القرآن ورغائب الفرقان٣/ ٥٥٠

النوع الثاني

تسليته (ﷺ)

قال تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ (١)

بهاتين الآيتين خُتمت سورة النحل وفيهما تسلية من الله (ﷻ) للنبي (ﷺ) وأمر له بالصبر على ما يلاقيه من قومه، ونهيه عن الحزن أو الضيق بسبب ما يمكرون له وللمؤمنين من المكائد والسوء.

والصبر(٢) المأمور به في الآية إمَّا أن يكون عمَّا أصابه هو وأصحابه من صنوف الأذى وفنون الآلام من المشركين، وإمَّا أن يكون المراد الصبر على العفو عنهم وعدم التمثيل بهم مثل ما فعلوا من المثلة بقتلى أحد. (٣)

ويؤيد الوجه الثاني الروايات الواردة في سبب النزول فقد ورد أنها نزلت في شأن التمثيل بحمزة وغيره في يوم أحد وكان النبي (ﷺ) حين رأى حمزة وقد مُثِّل به، قال: (لئن ظفرت بقريش لأمثلن بثلاثين منهم»

---

(١) سورة النحل ١٦ الآيتان ١٢٧،١٢٨

(٢) ذكر ابن منظور أنَّ:" أَصل الصَّبْر الحَبْس، وَكُلُّ مَنْ حَبَس شَيْئًا فَقَدْ صَبَرَه، وعرفه الجوهري بأنَّه: حبس النفس عن الجزع، وقال الراغب: "الصَّبْرُ: حبس النّفس على ما يقتضيه العقل والشرع، أو عمّا يقتضيان حبسها عنه، فَالصَّبْرُ لفظ عامّ، ويعبّر عن الانتظار بالصّبر لما كان حقّ الانتظار أن لا ينفكّ عن الصّبر بل هو نوع من الصّبر، قال تعالى {فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ} (سورة الطور ٥٢ من الآية ٤٨) أي: انتظر حكمه لك على الكافرين. لسان العرب٤/ ٤٣٨، والصحاح ٢/ ٧٠٦، والمفردات في غريب القرآن صفحة٤٧٤

(٣) جامع البيان للطبري١٤/ ٤٠٧، والنكت والعيون٣/ ٢٢١، والمحرر الوجيز٣/ ٤٣٣، والجواهر الحسان للثعالبي ٤٤٨/٣

فأنزل الله تعالى ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم﴾ إلى قوله ﴿يَمۡكُرُونَ﴾ [1]). [2]

وقيل إنَّه (ﷺ) :"حلف وقال: (والله لأمثلن بسبعين منهم مكانك» ، فنزل القرآن وهو واقف في مكانه لم يبرح: حتى ختم السورة، وكفر رسول الله (ﷺ) عن يمينه وأمسك عمَّا أراد). [3]

وروي عن الشعبي: لما كان يوم أحد وانصرف المشركون، فرأى (المسلمون) بإخوانهم مثلة سيئة جعلوا يقطعون آذانهم وآنافهم و(يشقون) بطونهم، فقال أصحاب رسول اللَّه (ﷺ) لئن أنالنا اللَّه منهم لنفعلن ولنفعلن فأنزل اللَّه: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ فقال رسول اللَّه (ﷺ): "بل نصبر" [4]

والصبر وإن كان مندوباً من الجميع لكن جاء الأمر به صريحاً له (ﷺ) خاصة لأنَّه أولى الناس بعزائم الأمور لزيادة علمه بشؤونه (ﷻ) ووثوقه به . [5]

وأتى بقوله ﴿وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ ليفيد أنَّ الصبر في هذه الأحوال صعبٌ على النفس، فيحتاج إلى توفيق الله تعالى وإعانته حتى يصير سهلاً ميسوراً.

---

(١) سورة النحل ١٦ الآيتان ١٢٦،١٢٧

(٢) المعجم الكبير ٦٢/١١ حديث رقم ١١٠٥١ ، وسنن الدارقطني ٢٠٤/٥ حديث رقم ٤٢٠٤

(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٢٨١/٣ حديث رقم ٤٨٩٤ ، وشعب الإيمان للبيهقي ١٢٠/٧ حديث رقم ٩٧٠٣

(٤) المصنف لابن أبي شيبة ٤٦٤/٢٠ حديث رقم ٣٩٥٠٧، والجامع الكبير (سنن الترمذي) ٢٠١/٥ حديث رقم ٣١٢٩

(٥) إرشاد العقل السليم ٥/ ١٥٢، وروح المعاني٧/ ٤٩١

يقول الرازي: " ولما كان الصبر في هذا المقام شاقاً شديداً ذكر بعده ما يفيد سهولته فقال: وما صبرك إلا بالله أي بتوفيقه ومعونته. (١)

ولتخفيف أمر الصبر عليه وتسليته (ﷺ) أتى بالاستثناء في قوله ﴿ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ مفرغاً(٢) من كل شيء، أي وليكن صبرك مقروناً بذكر الله تعالى ومشيئته والانقطاع إليه (ﷻ) وحده.

يقول أبو السعود: " ﴿ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ استثناءٌ مفرَّغٌ من أعم الأشياء أي وما صبرُك ملابساً ومصحوباً بشيءٍ من الأشياءِ إلا بالله أي بذكره والاستغراقِ في مراقبة شئونه والتبتّلِ إليه بمجامع الهِمّة وفيه من تسليته (ﷺ) وتهوينِ مشاقِّ الصبرِ عليه وتشريفه مالا مزيد عليه، أو إلا بمشيئته المبينة على حِكَمٍ بالغة مستتبِعةٍ لعواقبَ حميدةٍ فالتسليةُ من حيث اشتمالُه على غايات جميلة". (٣)

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٠/ ٢٨٩، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان٤/ ٣١٧

(٢) الاستثناء المفرغ هو: أن لا يذكر المستثنى منه، ويكون العامل السابق لـ"إلا" طالبا لما بعدها، وحكمه: أن تُجعل "إلاّ" بمنزلة المعدومة، ويُعطى الواقع بعدها من الإعراب ما يستحقه لفظا أو محلاً لو لم توجد "إلا" ولا يقع التفريغ إلاّ في غير الإيجاب .
أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك المؤلف: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت ٧٦١هـ) ٢٢٢/٢ المحقق: يوسف الشيخ محمد البقاعي الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، وإرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك المؤلف: برهان الدين إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (المتوفى ٧٦٧ هـ) ٦٨٩/١ المحقق: د. محمد بن عوض بن محمد السهلي قسم من هذا الكتاب: هو أطروحة دكتوراة للمحقق الناشر: أضواء السلف - الرياض الطبعة: الأولى، ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م.

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم٥/ ١٥٢، وروح المعاني٧/ ٤٩١

والحزن المنهي عنه في قوله ﴿ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ ﴾ إمَّا أن يكون متوجهاً إلى المشركين بسبب عدم إيمانهم وإصرارهم على كفرهم، وإمَّا إلى قتلى أحد وما فُعل بهم من المثلة، فإنهم أفضوا إلى رحمة الله وكرامته.

قال ابن عطية: والضمير في قوله ﴿ عَلَيۡهِمۡ ﴾ قيل يعود على الكفار أي لا تتأسف على أن لم يسلموا، وقالت فرقة: بل يعود على القتلى: حمزة وأصحابه الذين حزن عليهم رسول الله (ﷺ) والأول أصوب يكون عود الضمير على جهة واحدة".[1]

وللمبالغة في تسليته ولمزيد الاهتمام به (ﷺ) نهاه عن الحزن عمَّا يقع منهم في المستقبل، بعد نهيه عن الحزن عمَّا أصابه منهم في الماضي فقال:﴿ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴾.

يقول الألوسي: "﴿ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴾ أي من مكرهم بك فيما يستقبل فالأول كما في إرشاد العقل السليم نهي عن التألم بمطلوب من جهتهم فات والثاني نهي عن التألم بمحذور من جهتهم آت، وفيه أن النهي عنهما مع أن انتفاءهما لمن لوازم الصبر المأمور به لزيادة التأكيد وإظهار كمال العناية بشأن التسلية وإلا فهل يخطر ببال من توجه إلى الله تعالى بشراشره[2] متنزهاً عن كل ما سواه سبحانه من الشواغل شيء مطلوب فينهى عن الحزن بفواته".[3]

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٣٣، والتفسير البسيط١٣/ ٢٣٦، والكشاف ٢/ ٦٤٥، وزاد المسير ٢/ ٥٩٥، وأنوار التنزيل ٣/ ٢٤٥، ولباب التأويل ٣/ ١٠٨

(٢) الشَّرَاشِرُ: الأَثقال، الواحدةُ شُرْشُرَةٌ، يُقَالُ: أَلقى عَلَيْهِ شَرَاشِرَهُ أَي نَفْسَهُ حِرْصًا وَمَحَبَّةً، وَقِيلَ: أَلقى عَلَيْهِ شَراشره أي أَثقاله . الصحاح ٢/٦٩٦، ولسان العرب٤/ ٤٠٣

(٣) روح المعاني٧/ ٤٩١ ، و إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم٥/ ١٥٢

وحذف النون من فعل الكون ﴿ تَكُ ﴾ إشارة إلى ضرورة حذف الضيق من النفس أصلاً، وهذا تَطييبٌ مناسب لضخامة الأمر وبالغِ الحزن، وتخفيف لأمر الحدث وتهوينه على نفسه (ﷺ) .

يقول الكرماني: " قوله ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ ﴾ وفي النمل بإثبات النون {وَلَا تَكُن} [(١)]، وخصت هذه السورة بالحذف دون النمل موافقة لما قبلها وهو قوله ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[(٢)]، والثاني إن هذه الآية نزلت تسلية للنبي (ﷺ) حين قتل عمه حمزة ومُثِّل به فقال (ﷺ) لأفعلن بهم ولأصنعن فأنزل الله تعالى ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ فبالغ في الحذف ليكون ذلك مبالغة في التسلي وجاء في النمل على القياس ولأن الحزن هناك دون الحزن هنا والله أعلم"»[(٣)]

والمراد بالضيق[(٤)] : "ضِيقُ النَّفَسِ، وهو مستعار[(٥)] للجزع والكدر والحزن، كما استعير ضده وهو السعة والاتساع للاحتمال والصبر".[(٦)]

---

(١) إشارة إلى قوله:{وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ } سورة النمل ٢٧ الآية ٧٠

(٢) سورة النحل ١٦ من الآية ١٢٠

(٣) أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن للكرماني صفحة ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان٤/ ٣١٧، وفتح البيان في مقاصد القرآن٧/ ٣٤٢

(٤) قال الراغب: "الضِّيقُ: ضدّ السّعة، ويقال: الضَّيْقُ أيضا، والضَّيْقَةُ يستعمل في الفقر والبخل والغمّ ونحو ذلك. قال تعالى: {وَضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً}سورة هود ١١ من الآية ٧٧ ، أي: عجز عنهم، وقال تعالى:{وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ}. كلّ ذلك عبارة عن الحزن. المفردات في غريب القرآن صفحة ٥١٣

(٥) الاستعارة في اللّغة: طلبُ شيءٍ ما للانتفاع به زمناً ما دون مقابل، على أن يَرُدَّه المستعير إلى المُعِير عند انتهاء المدّة الممنوحة له، أو عند الطلب، وفي الاصطلاح: استعمال لفظٍ ما في غير ما وُضِع له في اصطلاحٍ به التخاطب لعلاقة المشابهة، مع قرينة صارفةٍ عن إرادة المعنى الموضوع له في اصطلاحٍ به التخاطب، وأصلُها تشبيهٌ حُذِفَ منه المشَبّه وأداةُ التشبه ووجْهُ الشَّبَه، ولم يبق منه إلاَّ ما يدلُّ على المشبّه به، بأسلوب استعارة اللفظ الدالّ على المشبَّه به، أو استعارة بعض مشتقّاته، أوْ بعض لوازمه، واستعمالها في الكلام بدلاً عن ذكر لفظ المشبَّه، مُلاَحَظاً في هذا الاستعمال ادّعاءُ أنَّ المشبَّه داخل في جنس أو نوع أو صِنْف المشبّه به، بسبب مشاركته له في الصفة الّتي هي وجه الشَّبَهِ بينهما، في رؤية صاحب التعبير . البلاغة العربية لعبد الرحمن حبنكة ٢/٢٣٧ ، وجواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع للهاشمي١/٢٥٨

(٦) التحرير والتنوير١٤/ ٣٣٦

وجعل الضيق ظرفاً له (ﷺ) – مع أنَّه وصفٌ يكون في الإنسان ولا يكون الإنسان فيه – لما أنَّ الهم والحزن إذا اشتد وكثر على الإنسان أحاط به من جميع جوانبه إحاطة الظرف بالمظروف.

يقول الرازي: " هذا من الكلام المقلوب، لأن الضيق صفة، والصفة تكون حاصلة في الموصوف ولا يكون الموصوف حاصلا في الصفة، فكان المعنى فلا يكن الضيق فيك، إلا أن الفائدة في قوله: ولا تك في ضيق هو أن الضيق إذا عظم وقوي صار كالشيء المحيط بالإنسان من كل الجوانب وصار كالقميص المحيط به، فكانت الفائدة في ذكر هذا اللفظ هذا المعنى والله أعلم. (١)

وأتى بالفعل المضارع وما المصدرية في قوله ﴿مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ بدلاً من المصدر، للدلالة على استمرار مكرهم وتجدده.

يقول ابن عاشور: " وما مصدرية، أي من مكرهم، واختير الفعل المنسبك إلى مصدر لما يؤذن به الفعل المضارع من التجدد والتكرر".(٢)

ثم ختمت السورة الكريمة بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾.

وهي آية جامعة لجميع المأمورات والمنهيات، بين الله (ﷻ) فيها أنَّه مع الذين اجتنبوا المثلة والزيادة في القصاص وسائر المناهي، وأيضاً

(١) مفاتيح الغيب ٢٠/ ٢٨٩، واللباب في علوم الكتاب ١٩١/١٢

(٢) التحرير والتنوير١٤/ ٣٣٦

مع الذين أحسنوا في ترك أصل الانتقام والعفو عن الجاني وعبدوا الله تعالى مخلصين عن شوائب الرياء، فالله (ﷻ) مع كل هؤلاء بالعون والفضل والرحمة، فمن أراد أن أكون معه بالنصر والتأييد فليكن من المتقين ومن المحسنين. (١)

(١) مفاتيح الغيب ٢٠/ ٢٨٩، ولباب التأويل ٣/ ١٠٨، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان٤/ ٣١٧، وفتح القدير٣/ ٢٤٣، وفتح البيان في مقاصد القرآن٧/ ٣٤٢

النوع الثالث

الدفـــاع عنـــه (ﷺ)

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ (١)

ختمت سورة الرعد بهذه الآية الكريمة والتي تحدثت عن إنكار الكافرين لرسالة النبي (ﷺ) ، ودفاع الله (ﷻ) عنه، حيث أمره أن يخبرهم أن الله (ﷻ) قد شهد له بنفسه وكفى بها شهادة، وأيضاً شهد بصدقه (ﷺ) من آتاه الله علم الكتاب، وقد حَسُن الختم بها حيث جاءت موافقة لأولها من الإخبار بأنَّ أكثر الناس أنهم لا يؤمنون. (٢)

واختلف في المراد بالذين كفروا في الآية فقيل: هم جماعة من اليهود والنصارى، وقيل مشركو العرب، ويجوز أن يُراد بهم جميع كفار عصره (ﷺ) . (٣)

وأتى بفعل القول مضارعاً مع وقوع قولهم في الماضي تعجباً منه، وتصوير له كأنه ما زال حاصلاً، وليشمل كل مَن يقول هذا القول بعد ذلك . (٤)

يقول ابن عرفة: " فإن قلت: مقالتهم ماضية فلم قال ويقول ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ فالجواب من ثلاثة أوجه: الأول: أتى به مستقبلا للتعجب كقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ ولم

---

(١) سورة الرعد ١٣ الآية ٤٣

(٢) إشارة إلى قوله {الٓمٓرٰ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ } سورة الرعد ١٣ الآية ١

(٣) بحر العلوم٢/ ٢٣٢، والتيسير في التفسير ٩/ ٨٨، وزاد المسير٢/ ٥٠٢

(٤) سورة الحج ٢٢ من الآية ٦٣

يقل فأصبحت، الثاني: للتصوير كأنها لم تزل واقعة مشاهدة، الثالث: ليتناول اللفظ من قالها ومن سيقول مثلها في المستقبل". (١)

وقولهم: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾: تكذيب له وطعن في نبوته (ﷺ)، أي ما أنت برسول من الله إلينا؛ لأنك عاجز عن إنزال ما التمسناه منك من الآيات المعجزات . (٢)

ووقع النفي على الرسالة ولم يقع على النبوة وهي أعم – وكان نفيها مستلزماً لنفي الرسالة – (٣) لأن تكذيبهم له (ﷺ) في كونه رسولاً إلى الناس جميعاً، فإذا كذبوه فيها فقد كذبوه فيما هو أعم من باب أولى.

قال السيوطي: " فإن قلت: هَلاّ قال: لست نبيئاً، فينتفي الأعَم! لأن نَفْيَ الأعم يستلزم نَفْيَ الأخَص؟ والجواب أنَّ نفي الأخص هنا يستلزم نَفْيَ الأعم، لأنه قال لهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾(٤)، فكذَّبوه في هذه المقالة، فإذا كذّبوه فيها فهم لا يصدِّقونه في نبوءته! لأن النبي لا يَكذِب".(٥)

(١) تفسير ابن عرفة ٤٣٦/٢ ، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن، للسيوطي ٣٠٨/٣

(٢) جامع البيان للطبري١٣/ ٥٨١، والتيسير في التفسير ٩/ ٨٨

(٣) ضرورة أن نفي الْأَعَمَّ يَسْتَلْزِمُ نَفْيَ الْأَخَصِّ. شرح مختصر المنتهى الأصولي للإمام أبي عمرو عثمان ابن الحاجب المالكي المؤلف: عضد الدين عبد الرحمن الإيجي ٦٣٢/٢ ، وإرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول للشوكاني ٣٠٦/١

(٤) سورة الأعراف ٧ من الآية ١٥٨

(٥) معترك الأقران في إعجاز القرآن٣/ ٣٠٨، وتفسير ابن عرفة ٢/ ٤٣٦

وقد تكفل الله (ﷻ) بالرد بالقول الصريح على هذه الدعوى في كثير من آيات القرآن الكريم، منها:" قوله: ﴿ يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ [(١)]، وقوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾[(٢)]،

وفى سورة الفتح: ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾ [(٣)]. [(٤)]

أمَّا في هذه الآية فقد أمره الله (ﷻ) أن يجيبهم ويحتج عليهم بأمرين:

الأول: شهادة الله له بقوله: ﴿ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ ﴾ حيث أيده بالمعجزات البينات مع عدم تمكن أحد من البشر معارضتها، وهي من أكبر الشهادات دليلاً على صدقه لأنَّها من جانب الفعل وهو أبلغ من القول.

يقول الرازي: " والمراد من تلك الشهادة أنه تعالى أظهر المعجزات الدالة على كونه صادقاً في ادعاء الرسالة، وهذا أعلى مراتب الشهادة لأن الشهادة قول يفيد غلبة الظن بأن الأمر كذلك، أما المعجز فإنه فعل مخصوص يوجب القطع بكونه رسولاً من عند الله تعالى، فكان إظهار المعجزة أعظم مراتب الشهادة".[(٥)]

---

(١) سورة يس ٣٦ الآيات ١-٣

(٢) سورة الأحزاب من الآية ٤٥

(٣) سورة الفتح ٤٨من الآية ٢٩

(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادى ١١٢/١

(٥) مفاتيح الغيب ١٩/ ٥٤، ولباب التأويل ٣/ ٢٦، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان٤/ ١٦٧، ونظم الدرر ١٠/ ٣٦٧

ومن تمام إنصافه (ﷺ) للخصم أن جعل الله (ﷻ) شاهداً بينه وبينهم، وحَكَماً عليه وعليهم، فهو (ﷻ) وحده الذي يعلم الصادق من الكاذب، وسيحاسب كلاً بقوله.

يقول ابن عرفة:" قوله تعالى: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ﴾ هذا من كمال الإنصاف مثل﴿ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[١] فمعنى الآية الله شهيد علي وعليكم فيعلم المحق من المبطل فيجازي كلاً بفعله".[٢]

أمَّا الأمر الثاني: فهو شهادة مَن أعطاه الله علم الكتاب وإليه الإشارة بقوله:﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾.

والكتاب إمَّا أن يُراد به القرآن الكريم، والمقصود بمَن عندهم علمه "المسلمون"، فهم يعلمون ما فيه من العلوم والمعارف، ويشهدون أنَّه جاء في أعلى درجات الفصاحة والبلاغة ونهاية الإعجاز، وهو دليل على صدقه (ﷺ) .

وإمَّا أن يراد بالكتاب "التوراة والإنجيل" والمقصود بمن عندهم علمه: مَن آمن من أهل الكتاب وعلمائهم، حيث إنهم يعرفون صفته (ﷺ) ويشهدون بصدقه.

يقول الزمخشري:"﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ والذي عنده علم القرآن وما ألف عليه من النظم المعجز الفائت لقوى البشر، وقيل: ومَن هو من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا، لأنهم يشهدون بنعته في كتبهم" [٣].

(١) سورة سبأ ٣٤ من الآية ٢٤
(٢) تفسير ابن عرفة ٢/ ٤٣٦
(٣) الكشاف ٢/ ٥٣٥، ومفاتيح الغيب ١٩/ ٥٤، وإرشاد العقل السليم ٥/ ٢٩ ، وروح المعاني٧/ ١٦٥، وفتح البيان ٧/ ٧٥

ووجه شهادة علماء الكتاب برسالة محمد (ﷺ) : "وجدانهم البشارة بنبيء خاتم للرسل (ﷺ) ، ووجدانهم ما جاء في القرآن موافقاً لسنن الشرائع الإلهية ومفسرا للرموز الواردة في التوراة والإنجيل في صفة النبيء (ﷺ) المصدق الموعود به، ولهذا المعنى كان التعبير في هذه الآية بـ مَنْ عنده علم الكتاب دون أهل الكتاب لأن تطبيق ذلك لا يدركه إلا علماؤهم، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾"[1] . [2]

(١) سورة الشعراء ٢٦ الآية ١٩٧

(٢) التحرير والتنوير١٣/ ١٧٥

النوع الرابع

وصيته (ﷺ)

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ (١)

بهذه الآيات الكريمة خُتمت سورة الحجر، وفيها وصية من الله (ﷻ) لنبيه (ﷺ) ونهي له عن الحزن عمَّا يصيبه من أذى قومه، وعمَّا كان يحزنه من كفرهم وعدم إيمانهم، فأرشده إلى ما يزيل همه ويشرح صدره، وهذه تسلية له (ﷺ) بعد وعد الله (ﷻ) بكفايته شرهم ودفع مكرهم في قوله: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾. (٢)

والمراد بالصدر (القلب) (٣)، ولمَّا كان القلب محله الصدر عبَّر به دونه، ولأنَّ الصدر يعم المعارف وجميع القوى الشهوانية عند الإنسان.

يقول الراغب: " قال بعض الحكماء: حيثما ذكر الله تعالى القلب فإشارة إلى العقل والعلم نحو: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ (٤)، وحيثما ذكر الصَّدْرُ فإشارة إلى ذلك، وإلى سائر القوى من الشّهوة والهوى

---

(١) سورة الحجر ١٥ الآيات ٩٧-٩٩

(٢) السورة السابقة الآيات ٩٥،٩٦

(٣) قال الراغب: الصَّدْرُ: الجارحة. قال تعالى: {رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي} سورة طه ٢٠ من الآية ٢٥، وجمعه: صُدُورٌ. المفردات صفحة ٤٧٧

(٤) سورة ق ٥٠ من الآية ٣٧

والغضب ونحوها، وقوله: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴾ [1]، فسؤال لإصلاح قواه، وكذلك قوله: ﴿وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [2] . [3]

وضيق صدره (ﷺ) كناية عن كدر النفس وتعرضها للهموم والأحزان، بسبب امتلائه بما كان يكره من كفرهم وطعنهم فيه وفي القرآن الكريم، وطبيعة البشر تأبى ذلك فيحصل عند سماعه ضيق الصدر.

فعبر الله سبحانه عن ألم النفس، وضيقها بضيق الصدر كأن الصدر أصبح لَا يتسع لمثل هذا القول الذي كانوا يقولونه من قولهم ساحر، ومن قولهم مجنون، ومن قولهم في القرآن إنه شعر، وإنه أساطير الأولين، ومن طلبهم خوارق غير القرآن، ومن عبادتهم الأوثان" [4]

ولبيان مدى الاهتمام به (ﷺ) ولمزيد من التسلية له في الحال والاستقبال أتى بـ (قد) الداخلة على الفعل المضارع ليفيد تحقق ذلك العلم وتأكيد استمراره، وأيضاً إفادة إنذار المشركين على ما يقولون.

يقول أبو السعود: "وتحلية الجملة بالتأكيد لإفادة تحقيقِ ما تتضمنه من التسلية وصيغة الاستقبال لإفادة استمرار العلم حسب استمرار متعلَّقه باستمرار ما يوجبه من أقوال الكفرة" [5].

---

(١) سورة طه ٢٠ الآية ٢٥

(٢) سورة التوبة ٩ من الآية ١٤

(٣) المفردات صفحة٤٧٧، والنكت والعيون٣/ ١٧٥، والجامع لأحكام القرآن١٠/ ٦٣ ، والبحر المحيط ٦/ ٤٩٩

(٤) زهرة التفاسير لأبي زهرة ٤١١٧/٨ ، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٧٦، و لباب التأويل ٣/ ٦٥ ، والتحرير والتنوير١٤/ ٩٠ والتفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي ٨٤/٨

(٥) إرشاد العقل السليم ٥/ ٩٣، وروح المعاني٧/ ٣٢٨، والتحرير والتنوير١٤/ ٩٠، وروح البيان لإسماعيل حقي ٤٩٣/٤، وزهرة التفاسير٨/ ٤١١٧

ثم فرَّع الله (ﷻ) على علمه بما يضيق به قلب نبيه (ﷺ) وصيته له بأربعة أمور في مقابلة ما لاقاه من قومه، كي يكفيه

ما أهمه وغمَّه منهم فقال: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾.

يقول أبو حيان: "لما كان الصادر من المستهزئين اعتقاداً وهو فعل القلب، وقولاً وهو ما يقولون في الرسول وما جاء به وهو فعل جارحة، أمر تعالى بما يقابل ذلك من التنزيه لله ومن السجود وهما جامعان فعل القلب وفعل الجسد، ثم أمره تعالى بالعبادة التي هي شاملة لجميع أنواع ما يتقرب بها إليه تعالى"[(١)].

والأمران الأولان له (ﷺ) هما التسبيح[(٢)] والتحميد[(٣)]:

والمراد بأمره بهما أن يكثر من قول (سبحان الله وبحمده) والمداومة عليه، لأنَّ فيه تنزيه الله عن كل ما لا يليق به، والثناء عليه بما هو أهله، على ما أنعم علينا من نعمٍ لا تُعد ولا تحصى.

---

(١) البحر المحيط ٦/ ٤٩٩

(٢) قال ابن منظور: التسبيح: التنزيه، وسبحان الله: معناه تنزيها لله من الصاحبة والولد، وقيل: تنزيه الله تعالى عن كل ما لا ينبغي له أن يوصف. لسان العرب٢/ ٤٧١، والصحاح ١/ ٣٧٢

(٣) قال الراغب: الحَمْدُ لله تعالى: الثناء عليه بالفضيلة، وهو أخصّ من المدح وأعمّ من الشكر، فإنّ المدح يقال فيما يكون من الإنسان باختياره، ومما يقال منه وفيه بالتسخير، فقد يمدح الإنسان بطول قامته وصباحة وجهه، كما يمدح ببذل ماله وسخائه وعلمه، والحمد يكون في الثاني دون الأول، والشّكر لا يقال إلا في مقابلة نعمة، فكلّ شكر حمد، وليس كل حمد شكرا، وكل حمد مدح وليس كل مدح حمدا. المفردات في غريب القرآن صفحة٢٥٦، ولسان العرب٣/ ١٥٥

فكلمة (سبحان الله): " مشتملة على سلب النقص والعيب عن ذات الله وصفاته فما كان من أسمائه سلباً فهو مندرج تحت هذه الكلمة كالقدوس وهو الطاهر من كل عيب والسلام وهو الذي سلم من كل آفة، و(الحمد لله) كلمة مشتملة على اثبات ضروب الكمال لذاته وصفاته تعالى فما كان من أسمائه متضمنا للإثبات كالعليم والقدير والسميع والبصير ونحوها فهو مندرج تحتها فنفينا بسبحان الله كل عيب عقلناه وكل نقص فهمناه وأثبتنا بالحمد لله كل كمال عرفناه وكل جلال أدركناه". (١)

وأتى بوصف الرب مضافاً إليه (ﷺ) فقال ﴿ بِحَمۡدِ رَبِّكَ ﴾ ولم يقل إلهك لإظهار كمال العناية به سبحانه وتعالى، ولبيان علة الأمر بالحمد والتسبيح.

يقول أبو السعود: "وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه الصلاة والسلام مالا يخفى من إظهار اللطفِ به عليه الصلاة والسلام والإشعارِ بعلة الحُكم أعني الأمرَ بالتسبيح والحمد". (٢)

والأمر الثالث هو السجود وإليه الإشارة بقوله: ﴿ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ والمراد به الصلاة، وعبر عنها بالسجود باعتباره أفضل أجزائها، من التعبير عن الكل بالجزء، ويدل عليه قوله (ﷺ) (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد)" (٣)

---

(١) روح البيان٤/ ٤٩٣، ومعالم التنزيل ٣/ ٦٩، ونظم الدرر ١١/ ٩٨

(٢) إرشاد العقل السليم ٥/ ٩٣، وروح المعاني٧/ ٣٢٨

(٣) أخرجه مسلم عن أبي هريرة ﷺ صحيح مسلم ١/ ٣٥٠ حديث رقم ٤٨٢

قال ابن عطية:" وقوله مِنَ السَّاجِدِينَ يريد من المصلين، فذكر من الصلاة حالة القرب من الله تعالى وهي السجود، وهي أكرم حالات الصلاة وأَقْمَنُها[١] بنيل الرحمة، وفي الحديث كان رسول الله (ﷺ):(كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة)[٢] ، فهذا منه عليه السلام أخذ بهذه الآية".[٣]

أمّا الأمر الرابع فهو وصيته (ﷺ) بالعبادة وهي المشار إليها بقوله: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾.

والعبادة [٤] تشمل جميع الطاعات، وذِكرها بعد السجود من ذِكر العام بعد الخاص.

والمراد بـ {اليَقِينُ}: في رأي جمهور المفسرين (الموت) ، وسمِّي يقيناً لأنَّه لا شك فيه، ويدل عليه قوله تعالى: {حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ } [٥]، وأيضاً ما وروي أن عثمان بن مظعون (رضي الله عنه) لما توفي جاءه النبي (ﷺ) وقال: (أمَّا هو فقد جاءه اليقين)[٦]، وقيل المراد باليقين: النصر على الأعداء، وهو حق لا ريب فيه. [٧]

---

(١) يقول الفارابي: "يقال: أنت قَمَنٌ أن تفعل كذا بالتحريك، أي خليقٌ وجديرٌ". الصحاح ٦/ ٢١٨٤، ومختار الصحاح صفحة٢٦٠

(٢) هكذا ذكره أكثر المفسرين، وورد في كتب الحديث عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه بلفظ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى». المسند للإمام أحمد ٣٣٠/٣٨ حديث رقم ٢٣٢٩٧ ، وسنن أبي داود ٤٨٥/٢ حديث رقم ١٣١٨ ، وجامع البيان للطبري ١٤/ ١٥٤ ، وتفسير السمعاني٣/ ١٥٥، ومعالم التنزيل٣/ ٦٩

(٣) المحرر الوجيز٣/ ٣٧٦ ، وروح المعاني٧/ ٣٢٨

(٤) قال الراغب: العُبُودِيَّةُ: إظهار التّذلّل، والعِبَادَةُ أبلغُ منها، لأنها غاية التّذلّل، ولا يستحقّها إلا من له غاية الإفضال، وهو الله تعالى، ولهذا قال: (أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) سورة الإسراء١٧ من الآية ٢٣ . المفردات في غريب القرآن صفحة٥٤٢ ، ولسان العرب٣/ ٢٧٣

(٥) سورة المدثر ٧٤ الآية ٤٧

(٦) صحيح البخاري ٤١٩/١ حديث رقم ١١٨٦ باب: الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في كفنه

(٧) جامع البيان للطبري١٤/ ١٥٤، والنكت والعيون٣/ ١٧٥، وغرائب التفسير وعجائب التأويل ٥٩٧/١، والتيسير في التفسير ٩/ ٢٣١، وزاد المسير٢/ ٥٤٦، والمحرر الوجيز٣/ ٣٧٦

وأتى بـ (حتى) وجعلها غاية للعبادة ولم يكتف بالأمر بها، للدلالة على دوام العبادة طيلة الحياة وفي جميع الأوقات.

قال الزجاج: "المعنى اعبد ربك أبداً، واعبده إلى الممات، لأنه لو قيل: اعبد ربك – بغير التوقيت – لجاز إذا عبد الإنسان مرة أن يكون مطيعاً، فإذا قال حتى يأتيك اليقين، أي أبداً وما دمت حياً، فقد أمرت بالإقامة على العبادة" (١)

ولمَّا كان الموت هو الطالب لكل أحد أسند الإتيان إليه فقال (يأتيك اليقين) لتأكيد المحافظة على العبادة وعدم التقصير فيها في زمن من الأزمان.

يقول أبو السعود: "وإسناد الإتيان إليه للإيذان بأنه متوجه إلى الحيّ طالب للوصول إليه والمعنى دم على العبادة ما دمت حيًّا من غير إخلال بها لحظة. (٢)

وفي سبب زوال الضيق والهم بهذه الأعمال الصالحة ذكر العلماء وجوهاً منها:

أنَّ العبد إذا أتى بهذه العبادات فأنه يتنور باطنه ويشرق قلبه، وينفسح وينشرح صدره فعند ذلك يعرف قدر الدنيا وحقارتها فلا يلتفت إليها، ولا يتأسف على فواتها فيزول الهم والغم والحزن عن قلبه.

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج٣/ ١٨٧، وتفسير السمعاني٣/ ١٥٥، وزاد المسير ٢/ ٥٤٦، والجامع لأحكام القرآن١٠/ ٦٣، وفتح البيان في مقاصد القرآن٧/ ٢٠١

(٢) إرشاد العقل السليم ٥/ ٩٣،وروح البيان٤/ ٤٩٣، وروح المعاني٧/ ٣٢٨

وأيضاً فإنَّه إذا نزل به مكروه ففزع إلى الصلاة فكأنه يقول: يا رب إنما يجب عليّ عبادتك سواء أعطيتني ما أحب أو كفيتني ما أكره، فأنا عبدك وبين يديك فافعل بي ما تشاء. (١)

وهذه الآية الكريمة نظير قوله تعالى: ﴿ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ (٢)، وجاء في السنة أيضاً ما يوافقها فقد ورد أنَّه لما نزلت هذه الآية قال النبي (ﷺ): "(ما أوحى الله إلي أن أجمع المال وأكون من التاجرين، ولكن أوحى إلي أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين)". (٣)

وقد جاء ختم السورة بهذه الآيات في غاية البراعة، وحسُن الختم بها لمناسبتها لفاتحتها أيَّما مناسبة، فهي في مقابلة قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ (٤). (٥)

(١) مفاتيح الغيب ١٩/ ١٦٥، ولباب التأويل ٣/ ٦٥، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان٤/ ٢٣٦

(٢) سورة مريم ١٩ من الآية ٣١

(٣) سنن سعيد بن منصور ٥٢/٦ حديث رقم ١٢٢١، والزهد للإمام أحمد بن محمد بن حنبل صفحة ٣١٧ حديث رقم ٢٣١٦

(٤) سورة الحجر ١٥ الآية ٦

(٥) الإتقان ٣٦٧/٣ ، ونظم الدرر ١١/ ٩٨، وروح المعاني٧/ ٣٢٨

الفصل الرابع

خواتم خاصة بالقرآن

ويشتمل على النوعين الآتيين:

١ – وصف القرآن الكريم ومدحه.

٢ – الحكمة من إنزاله.

النوع الأول

وصف القرآن الكريم ومدحه

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾. (١)

ختمت سورة يوسف (عليه السلام) بهذه الآية الكريمة، وفيها وصفٌ من الله (سبحانه وتعالى) للقرآن الكريم بأوصاف عظيمة، وأولها أنَّه اشتمل على قصص الأنبياء والمرسلين مع أقوامهم وفيها العظة والاعتبار لمن يعتبر.

والضمير في ﴿ قَصَصِهِمْ ﴾ (٢) إمَّا أن يُراد به العموم فيشمل جميع قصص الأنبياء والرسل – عليهم السلام – مع أممهم، وإمَّا أن يُراد به قصة يوسف (عليه السلام) وأبيه مع إخوته خاصة، وهو الأولى لحديث السورة عنهم. (٣)

وذكر الرازي وجه العبرة(٤) في قصصهم: " أن الذي قدر على إعزاز يوسف بعد إلقائه في الجب، وإعلائه بعد حبسه في السجن وتمليكه مصر

---

(١) سورة يوسف ١٢ الآية ١١١

(٢) قال الراغب: الْقَصَصُ: الأخبار المتتبّعة، قال: {إِنَّ هذا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ} (آل عمران ٣ من الآية ٦٢)، {لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ } المفردات صفحة ٦٧١

(٣) قال النيسابوري: ويحسن أن يقال: الضمير لإخوة يوسف وله لاختصاص هذه السورة بهم. غرائب القرآن ورغائب الفرقان٤/ ١٣٣، والبحر المحيط ٦/ ٣٣٧، والدر المصون للسمين الحلبي ٥٦٨/٦ ، وروح المعاني٧/ ٦٩

(٤) قال ابن منظور العِبَرُ: جمع عبرة، وهي كالموعظة مما يتعظ به الإنسان ويعمل به ويعتبر ليستدل به على غيره، والعِبْرة: الاعتبار بما مضى. لسان العرب٤/ ٥٣١.

بعد أن كانوا يظنون به أنه عبد لهم، وجمعه مع والديه وإخوته على ما أحب بعد المدة الطويلة، لقادر على إعزاز محمد (ﷺ) وإعلاء كلمته. [١]

وإنما خص أولو الألباب [٢] بالاعتبار بهذا القصص: " لأنهم هم الذين ينتفعون بالعبر، ومن له لب وأجاد النظر ورأى ما فيها من امتحان ولطف وإحسان، علم أنه أمر من الله تعالى". [٣]

والوصف الثاني للقرآن الذي دلت عليه الآية نفي الافتراء عنه وأشار إليه بقوله: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾.

والمراد بالحديث هنا القرآن الكريم، وهو أحد أسمائه[٤]، ويدل عليه أيضاً تقدُّم ذكره أول السورة. [٥]

ووجه نفي الافتراء[٦] عن القرآن أنَّه كلام معجز في نظمه وبلاغته وإخباره بالمغيبات على نحو ما ورد في هذه السورة بما لا يقدر عليه بشر ولو كان نبياً أن يأتي بمثله.

وقال الراغب: "وَالاعْتِبَارُ والعِبْرَةُ: بالحالة التي يتوصّل بها من معرفة المشاهد إلى ما ليس بمشاهد. قال تعالى: { إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً } سورة آل عمران ٣ من الآية ١٣ المفردات صفحة ٥٤٣

(١) مفاتيح الغيب ١٨/ ٥٢٢، ولباب التأويل ٢/ ٥٦١

(٢) قال الراغب: اللُّبُّ: العقل الخالص من الشّوائب، وسمّي بذلك لكونه خالص ما في الإنسان من معانيه، كَاللُّبَابِ، وقيل: هو ما زكى من العقل. فكلّ لبّ عقل وليس كلّ عقل لبّا، ولهذا علّق الله تعالى الأحكام التي لا يدركها إلّا العقول الزكيّة بأولي الْأَلْبَابِ. المفردات ص٧

(٣) البحر المحيط ٦/ ٣٣٧

(٤) معترك الأقران في إعجاز القرآن٢/٣٢٦

(٥) في قوله تعالى: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } سورة يوسف ١٢ من الآية ٢

(٦) الافتراء: الاختلاق . قال ابن قتيبة: {مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى} أي: يُخْتَلَقُ ويُصنَعُ. غريب القرآن صفحة ٣١، ٢٢٣

يقول الخازن: "﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ ﴾ يعني ما كان هذا القرآن حديثاً يفتري ويختلق لأن الذي جاء به من عند الله وهو محمد (ﷺ) لا يصح منه أن يفتريه أو يختلقه لأنه لم يقرأ الكتب ولم يخلط العلماء ثم إنه جاء بهذا القرآن المعجز فدل ذلك على صدقه وأنه ليس بمفتر". (١)

والوصف الثالث للقرآن الذي دلت عليه الآية أنَّه: مصدّق لما تقدّمه من الكتب السّماوية من التّوراة والإنجيل وسائر كتب الله (ﷻ) وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾.

وتصديقه لها بموافقته لما فيها من أخبار وقصص صحيحة، فما وافقه منها فهو حق وما خالفه منها فهو باطل، وكذلك بتصديق الأنبياء والرسل المتقدمين.

يقول أبو الحسن: " وقيل في معنى ﴿مُصَدِّقًا﴾ (٢) قولان: أحدهما: أنه مصدق لما بين يديه لموافقته إياه في الخبر، والثاني: أنه مصدق، أي: يخبر بصدق الأنبياء". (٣)

وقال ابن كثير: "﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: من الكتب المنزلة من السماء وهو يصدق ما فيها من الصحيح، وينفي ما وقع فيها من تحريف وتبديل وتغيير، ويحكم عليها بالنسخ أو التقرير". (٤)

---

(١) لباب التأويل ٢/ ٥٦١

(٢) من قوله تعالى: {نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ} سورة آل عمران٣ من الآية ٣

(٣) النكت في القرآن الكريم المؤلف: علي بن فَضَّال بن علي بن غالب المُجَاشِعِي القيرواني، أبو الحسن (ت ٤٧٩هـ) صفحة ١٧١

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٦٦/٤ ، ومحاسن التأويل للقاسمي ٢٣٧/٦

وفيه إشارة كما قال الخازن إلى أنَّ: هذه القصة وردت على وجه الموافق لما في التوراة من ذكر قصة يوسف (عليه السلام).[1]

والوصف الرابع للقرآن أنَّ فيه توضيح كل ما يحتاج إليه العباد، وهو المشار إليه بقوله: ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾.

والتفصيل هو التبيين[2]، والعموم الوارد في قوله ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ قيل من (العام المراد به الخصوص)[3] من بيان أمر الله تعالى ونهيه، وحلاله، وحرامه، وطاعته، ومعصيته، وقيل هو باق على عمومه فيشمل بيان أمور الدين والدنيا.

يقول الواحدي: "﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه من أمور الدين من الحلال والحرام والحجاج والاعتبار، هذا إذا قلنا: {ما كان} القرآن، وإن قلنا: {ما كان} القصص، فالمعنى: وتفصيل كل شيء من نبأ يوسف وإخوته، وعلى التفسيرين جميعا: قوله {كل شيء} من العام الذي أريد به الخاص كقوله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[4] يريد كل شيء يجوز أن يدخل فيها.[5]

---

(١) لباب التأويل ٢/ ٥٦١، والسراج المنير للخطيب الشربيني ١٤٢/٢

(٢) الصحاح ٥/ ١٧٩١، ولسان العرب١١/ ٥٢٢

(٣) يقول صاحب مفتاح الوصول: " أما العام (الذي أريد به الخصوص)، فهو (مجاز) قطعا : (لأنه) بحسب مفهومه (كلي) نظرا لأفراده بحسب أصله، (استعمل في جزئي) من أفراده، ولأنه أيضا استعمل في غير ما وضع له أولا. مثاله : قوله تعالى: {الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النّاسُ} (سورة آل عمران ٣ من الآية ١٧٣) فالناس عام أريد به خاص، أي : نعيم بن مسعود الأشجعي، لقيامه مقام كثير في تثبيطه المؤمنين عن ملاقاة أبي سفيان وأصحابه » مفتاح الوصول إلى علم الأصول في شرح خلاصة الأصول المؤلف: الشيخ محمد الطيب الفاسي صفحة ٢١٥

(٤) سورة الأعراف ٧ من الآية ١٥٦

(٥) التفسير البسيط١٢/ ٢٧٥، والكشاف ٢/ ٥١١، وزاد المسير ٢/ ٤٧٨، ومفاتيح الغيب ١٨/ ٥٢٢، والجامع لأحكام القرآن٩/ ٢٧٧، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل٣/ ١٧٩، ولباب التأويل ٢/ ٥٦١، و نظم الدرر ٢٥٩/١٠

وخُتمت الآية بوصفها القرآن بكونه هداية ورحمة من الله تعالى لعباده، في قوله (ﷻ): ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ ، فالقرآن الكريم سبب الهداية في الدنيا للمؤمنين، يهديهم من الضلالة إلى نور الحق وإلى الطريق المستقيم، والقرآن أيضاً سبب الرحمة لهم في الدنيا والآخرة، وذلك لأنهم يصدقون بالله تعالى، وبمحمد (ﷺ)، ولهذا خصَّ الهداية والرحمة بهم.

يقول الخطيب:" {وهدى} من الضلال {ورحمة} ينال بها خير الدارين {لقوم يؤمنون}، أي: يصدّقون خصهم بالذكر لأنهم هم الذين انتفعوا به كقوله تعالى﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (١)، فسبحان من أنزله معجزاً باهراً وقاضياً بالحق لا يزال ظاهرا".(٢)

ومن حسن ختم السورة بهذه الآية التَّناسق العجيب بين مطلعها وخاتمتها، حيث افتتحت بالقرآن، وأكَّدت أنَّه قرآن عربيّ مبين، اشتمل على أحسن القصص (٣)، وفي ختام السُّورة بيَّن الله تعالى الحكمة من ذكر القصص في القرآن، ونفى أن يكون هذا القرآن حديثاً يُخْتَلق، لأنَّه من عند الله تعالى.

يقول البقاعي:"﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾ وبياناً وإكراماً، ولما كان الذي لا ينتفع بالشيء لا يتعلق بشيء منه، قال:﴿ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ أي يقع الإيمان

(١) سورة البقرة ٢ من الآية٢

(٢) السراج المنير ٢/ ١٤٢، والبحر المحيط ٦/ ٣٣٧، وتفسير الإيجي ٢/ ٢٥٤، وإرشاد العقل السليم ٤/ ٣١١، وروح المعاني٧/ ٦٩

(٣) في قوله تعالى: {الٓرٰ تِلْكَ ءَايٰتُ ٱلْكِتٰبِ ٱلْمُبِينِ ١إِنَّآ أَنزَلْنٰهُ قُرْءٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ٢نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغٰفِلِينَ ٣} سورة يوسف ١٢ الآيات ١-٣

منهم وإن كان بمعنى: يمكن إيمانهم، فهو عام، وما جمع هذه الخلال فهو أبين البيان، فقد انطبق هذا الآخر على أول السورة في أنه الكتاب المبين، وانطبق ما تبع هذه القصص من الشهادة بحقِّية القرآن". (١)

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٠/ ٢٥٩

النوع الثاني

الحكمة من إنزاله

قال تعالى: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (١)

ختم الله (ﷻ) سورة إبراهيم (عليه السلام) بهذه الآية، وفيها بيان بعض الحِكَم من إنزال القرآن الكريم، أولها أنَّه أنزله للناس بلاغاً وإنذاراً.

والبلاغ من أسماء القرآن الكريم (٢)، ومعناه التبليغ والكفاية. (٣)

والإنذار(٤) كما قال الراغب: "إخبارٌ فيه تخويف، كما أنّ التّبشير إخبار فيه سرور. (٥)

ولفظ (الناس) خصه بعض المفسرين بأهل مكة (٦)، والجمهور على أنَّه عام فيشمل المؤمنين والكافرين، والإنس والجن. (٧)

---

(١) سورة إبراهيم ١٤ الآية ٥٢

(٢) يقول الزركشي: "وسماه بلاغاً فقال: {هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ}". البرهان ١/ ٢٧٦، والإتقان ١/ ١٨١، ومعترك الأقران ٣٢٨/٢

(٣) قال الراغب: "والبَلَاغ: التبليغ، نحو قوله ﷻ{هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ}،والبَلَاغ: الكفاية، نحو قولهﷻ {إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ }". سورة الأنبياء ٢١ الآية ١٠٦ المفردات صفحة ١٤٤

(٤) قال ابن منظور: ونَذِرَ بِالشَّيْءِ وَبِالْعَدُوِّ، بِكَسْرِ الذَّالِ، نذْراً: عَلِمَهُ فحَذِرَه، وأَنذَرَه بالأَمر إِنْذاراً ونُذْراً: أَعلَمَهُ، وأَنذَره أَيضاً: خَوَّفَهُ وحذَّره. لسان العرب٥/ ٢٠١

(٥) المفردات صفحة ٧٩٧

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان٢/ ٤١٤، وزاد المسير٢/ ٥٢١

(٧) تفسير ابن كثير٤/ ٤٤٩

يقول أبو السعود: " ﴿ لِّلنَّاسِ ﴾ للكفار خاصةً على تقدير اختصاصِ الإنذار بهم في قوله تعالى {وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ }[1] أو لهم وللمؤمنين كافةً على تقدير شمولِه لهم أيضاً وإن كان ما شرح مختصاً بالظالمين". [2]

فالله (ﷻ) أنزل القرآن للناس جميعاً وفيه التبليغ الكافي الشافي لهم في الدنيا، وفيه أيضاً ما يخوفهم من سوء عاقبة الكفر والفسوق والعصيان في الآخرة.

وقد أبلغ الله به إليهم في الحجة عليهم، وأعذر إليهم بما أنزل فيه من مواعظه وعبره ﴿ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ ﴾ يقول: ولينذروا عقاب الله، ويحذروا به نقماته، أنزله إلى نبيه (ﷺ) . [3]

وثاني الحِكم التي دلت عليها الآية من إنزال القرآن أنَّه مصدر للعلم بوحدانية الله (ﷻ) وإليها الإشارة بقوله:﴿ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾.

فالقرآن الكريم اشتمل على كثير من الحجج والدلائل والبراهين الدالة على أنَّه (ﷻ) إله واحد لا شريك له في ذاته وصفاته وأفعاله، وليس آلهة متعددة كما زعم المشركون.

يقول الطوفي: " قوله﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ فيه إثبات الوحدانية، وأن القرآن يدل عليها لأنه

(١) سورة إبراهيم ١٤ من الآية ٤٤

(٢) إرشاد العقل السليم ٥/ ٦٢، وروح المعاني٧/ ٢٤٢، وفتح البيان ٧/ ١٤٠

(٣) جامع البيان للطبري ١٣/ ٧٤٦، وبحر العلوم٢/ ٢٤٩، وتفسير السمعاني٣/ ١٢٧، والجامع لأحكام القرآن٩/ ٣٨٥

أخبر أنه أنزل القرآن بلاغاً للناس لأجل إنذارهم به وعلمهم بالوحدانية، ولولا تضمنه دليلها لما صح هذا التعليل. (١)

وقوله ﴿ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ فيه قصر (٢) موصوف وهو الله (ﷻ) على صفة وهي الوحدانية، ليكون العلم مفيد توحيد الإله وانحصار وصفه في صفة الوحدانية دون المشاركة.

يقول ابن عاشور: " وليعلموا مما ذكر فيه من الأدلة ما الله إلا إله واحد، أي مقصور على الإلهية الموحدة، وهذا قصر موصوف على صفة وهو إضافي(٣) ، أي أنه تعالى لا يتجاوز تلك الصفة إلى صفة التعدد بالكثرة أو التثليث، كقوله: ﴿ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ﴾(٤). (٥)

(١) الإشارات الإلهية إلي المباحث الأصولية المؤلف: نجم الطوفي الحنبلي صفحة ٣٦٤

(٢) القصر : لغة الحبس ، واصطلاحاً : تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص ، والشيء الأول: هو المقصور، والشيء الثاني: هو المقصور عليه ، والطريق المخصوص يكون بـ (النفي والاستثناء) أو (بإنَّما) أو (بالعطف بلا - وبل - ولكن) أو (بتقديم ما حقّه التأخير) وغيرها من الطرق . المنهاج الواضح للبلاغة ٦٩/٢ ، وجواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع للهاشمي ١/ ١٦٥

(٣) ينقسم القصر باعتبار الحقيقة والواقع إلى قسمين : قصر حقيقي وهو أن يختصَّ المقصورُ بالمقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع ، بألا يتعدَّاه إلى غيره أصلا - نحو لا إله إلاَّ اللهُ ، وقصر إضافي - وهو أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الإضافة والنسبة إلى شيء آخر معين، لا لجميع ما عداه، نحو: ما خليل إلا مسافر: إذا أردت قصر السفر عليه بالنسبة لشخص غيره، كمحمود مثلا وليس قصدك أنه لا يوجد مُسافر سواه، إذ الواقع يشهد ببطلانه. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ١/ ١٧١

(٤) سورة النساء ٤ من الآية ١٧١

(٥) التحرير والتنوير١٣/ ٢٥٤

وقدَّمَ صفة الإنذار على العلم في قوله﴿ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ ﴾ لأن الإنسان إذا خاف من ربَّه وذلك بما يسمعه في القرآن من تخويفات وتحذيرات اشتغل بالبحث والتفكر فيه (ﷻ) ، ويقدمه ذلك إلى توحيده والعمل بطاعته.

وكان للزمخشري قصب السبق في الإشارة إلى هذه الحِكمة حيث قال: " ﴿ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ لأنهم إذا خافوا ما أنذروا به، دعتهم المخافة إلى النظر حتى يتوصلوا إلى التوحيد، لأنّ الخشية أمّ الخير كله".[1]

والحكمة الثالثة التي ختمت بها الآية فهي أنَّ القرآن الكريم أُنزل موعظة وعبرة لأصحاب العقول السليمة الذين يتعظون ويعتبرون بما فيه، فيترتب على ذلك سعادتهم في الدنيا والآخرة، وأشير إليها بقوله:﴿ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾.

والتذكر ضد النسيان[2] ويأتي بمعنى العظة والاعتبار، والمعنى: ليتعظوا ويسترجعوا بما سمعوا في القرآن من المواعظ فيعملوا بما فيه سعادتهم ونجاتهم، ويبتعدوا عما فيه هلاكهم وعذابهم. [3]

---

(١) الكشاف ٢/ ٥٦٨، ومفاتيح الغيب ١٩/ ١١٤، والبحر المحيط ٦/ ٤٥٩، وروح المعاني٧/ ٢٤٢، ومحاسن التأويل٦/ ٣٢٦

(٢) قال ابن منظور: الذكر: الحفظ للشيء والاسم الذكرى، قال الفراء: يكون الذكرى بمعنى الذكر، ويكون بمعنى التذكر في قوله تعالى: وذكر {وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ} (سورة الذاريات ٥١ الآية ٥٥) والذكر والذكرى، بالكسر: نقيض النسيان واستذكر الشيء: درسه للذكر. والاستذكار: الدراسة للحفظ. لسان العرب٤/ ٣٠٩

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل٣/ ٢٠٤ ، إرشاد العقل السليم ٥/ ٦٢ ، وروح المعاني٧/ ٢٤٢

وخصَّ التذكر بأولي الألباب لأنهم هم الذين يجدي فيهم التذكر فهم أهل النظر والاعتبار، وأيضاً لإفادة اختصاص الأمر بالعلم السابق في قوله { وَلِيَعْلَمُوا } بالكفار، والأمر بالاتعاظ بالمؤمنين.

يقول أبو السعود: " وفي تخصيص التذكرِ بأولي الألباب تلويحٌ باختصاص العلمِ بالكفار ودَلالةٌ على أن المشارَ إليه بهذا ما ذكرنا من القوارع المَسوقةِ لشأنهم لا كلُّ السورةِ المشتملةِ عليها وعلى ما سبق للمؤمنين أيضاً فإن فيه ما يفيدهم فائدةً جديدةً" . (١)

وأتى بصفة العلم في جانب الكفار، لأنَّ المطلوب منهم شيئاً جديداً وهو الوحدانية، ومع أولي الألباب أتى بصفة التذكر لأنَّهم مطالبون بالثبات على ما هم عليه.

ولله درُّ الإمام أبي السعود حين أشار إلى هذه النكتة أيضاً فقال: " وحيث كان ما يفيده البلاغُ من التوحيد وما يترتبُ عليهِ من الأحكام بالنسبة إلى الكفرة أمراً حادثاً وبالنسبة إلى أولي الألباب الثباتَ على ذلك حسبما أشير إليه عبر عن

الأول بالعلم وعن الثاني بالتذكير ورُوعيَ ترتيبُ الوجودِ مع ما فيه من الختم بالحسنى". (٢)

وبهذا يظهر أنَّ لهذا البلاغ ثلاث فوائد هي الغاية والحكمة في إنزال الكتب، وهي كما ذكرها الألوسي نقلاً عن البيضاوي: "تكميل الرسل عليهم السلام للناس المشار إليه بالإنذار، واستكمالهم القوة النظرية التي منتهى

(١) إرشاد العقل السليم ٥/ ٦٢ ، وروح المعاني٧/ ٢٤٢
(٢) إرشاد العقل السليم ٥/ ٦٢ ، وروح المعاني٧/ ٢٤٢

كمالها ما يتعلق بمعرفة الله تعالى المشار إليه بالعلم، واستصلاح القوة العملية التي هي التدرع بلباس التقوى المشار إليه بالتذكر. [١]

وهذه الخاتمة من سورة إبراهيم من أوضح ما آذن بالختام من سور القرآن فقد جاءت: " مقرونة بأولها ومطابقة لها في المعنى أيَّما مطابقة، فأولها قوله: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [٢] يدل على أن المقصود من إنزال الكتاب إرشاد الخلق كلهم إلى الدين والتقوى ومنعهم عن الكفر والمعصية، وآخر السورة قوله: ﴿ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ يدل على أنه تعالى ذكر هذه المواعظ والنصائح لينتفع الخلق بها، فيصيروا مؤمنين مطيعين، ويتركوا الكفر والمعصية". [٣]

(١) روح المعاني٧/ ٢٤٢، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل٣/ ٢٠٤

(٢) سورة إبراهيم ١٤ من الآية ١

(٣) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج المؤلف: وهبة الزحيلي ٢٨١/١٣

خـــاتـــمـــة

في هذه الدراسة والتي جاءت وسطاً بين الإفراط والتفريط، وقصداً بين الإيجاز المخل بالمقصود والإطناب الممل عن المراد ، وتجلى من خلالها بعض أسرار القرآن الكريم في خواتم سوره التي دلت على قمة البلاغة ، فضلاً عن التحدي والإعجاز.

وقد ظهر من خلال البحث أنَّ جميع خواتم سور القرآن الكريم أتت على أحسن الوجوه وأبلغها وأكملها، وتميزت كما تميزت فواتحها بدلالات ومعاني وإشارات محققة أهدافها في مخاطبة البشر، مبينة لهم حِكماً، ومواعظ، داعية لهم بالهداية والاستقامة، مبشرة ومنذرة، متناسبة مترابطة مع فواتحها أعظم ترابط، وأبلغ تناسب.

وفي كل ختام تشعر النفس بأن المعاني التي تناولتها السورة قد استوفت تمامها، ووجدت النفس عند الخاتمة سكونها وطمأنينتها، حتى إن السورة التي ختمت باستفهام لم يشعر المرء عنده بنقص يحتاج إلى إتمام، بل كان جوابه مغروساً في القلب، مستقرا في الضمير، فتم بالاستفهام معنى السورة، وأثار في النفس ما أثار من إقرار لا تستطيع تحولاً عنه ولا إخفاء له، وصدق الله العظيم حين يقول: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ (١)

وبعد:

فما هذا إلا جهد المقل ولا أدعي فيه الكمال، ولكنه ما مَنَّ الله (ﷻ) به عليَّ، وما سنحت به الفرصة في إعداد وكتابة هذا البحث، ومبلغ

(١) سورة النساء ٤ من الآية ٨٢

علمي أنه وافٍ، فإن أكن وفقت فذلك من فضل الله (ﷻ) وكرمه علىَّ ، فمنه وحده الهداية والتوفيق ، وبه الحول والقوة ﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (١)

وإن كانت الأخرى فمرجع ذلك أنني بشر أخطئ وأصيب، ولا ألومن إلا نفسي وتقصيري ، وحسبي أنني اجتهدت قدر طاقتي ، واشتغلت فترة بكتاب الله تعالى .

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفعني به ، وأن يثقل به حسناتي يوم العرض عليه ، وألا يحرمني ووالديَّ الثواب من ورائها إنه ولى ذلك والقادر عليه .

وصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١) سورة هود ١١ من الآية ٨٨

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً : كتب العقيدة

١- التحفة الندية شرح العقيدة الواسطية المؤلف: د. عبد الرحمن بن عبد العزيز العقل الناشر: مركز النخب العلمية - القصيم - بريدة الطبعة: الثانية، ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م.
٢- تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل المؤلف: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (ت ٤٠٣هـ) المحقق: عماد الدين أحمد حيدر الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م
٣- توضيح مقاصد المصطلحات العلمية في الرسالة التدمرية المؤلف: محمد بن عبد الرحمن الخميس الناشر: دار الصميعي، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٥ م
٤- شرح العقيدة الواسطية، ويليه ملحق الواسطية المؤلف: محمد بن خليل حسن هرّاس (ت ١٣٩٥هـ) ضبط نصه وخرَّج أحاديثه ووضع الملحق: علوي بن عبد القادر السقاف الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع - الخبر الطبعة: الثالثة، ١٤١٥ هـ
٥- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (ت ٣٢٤هـ) المحقق: نعيم زرزور الناشر: المكتبة العصرية الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

ثانياً: كتب التفسير وعلوم القرآن

٦- الإتقان في علوم القرآن المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م
٧- أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان المؤلف: محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (ت نحو ٥٠٥هـ) المحقق: عبد القادر أحمد عطا مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض دار النشر: دار الفضيلة

٨- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن المؤلف : محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان عام النشر : ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ مـ
٩- أنوار التنزيل وأسرار التأويل المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ
١٠-باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن المؤلف: محمود بن أبي الحسن (علي) بن الحسين النيسابوري الغزنوي، أبو القاسم، الشهير بـ (بيان الحق) (ت بعد ٥٥٣هـ) المحقق (رسالة علمية): سعاد بنت صالح بن سعيد بابقي الناشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة حرسها الله تعالى عام النشر: ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م
١١-بحر العلوم المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٣هـ) تحقيق وتعليق الشيخ علي أحمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود والدكتور زكريا عبد المجيد النوتي طبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣
١٢-البحر المحيط في التفسير المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر - بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ
١٣-البحر المديد في تفسير القرآن المجيد المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت ١٢٢٤هـ) المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان الناشر: الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة الطبعة: ١٤١٩ هـ
١٤-البرهان في علوم القرآن المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه
١٥-بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ) المحقق: محمد

علي النجار الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة
١٦-التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) الناشر : الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ
١٧-تفسير ابن عرفة المؤلف: محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (ت ٨٠٣هـ) المحقق: جلال الأسيوطي الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨ م
١٨-تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن المؤلف: محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإيجي الشافعيّ (ت ٩٠٥هـ) دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م
١٩-التَّفْسِيرُ البَسِيْط المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ) المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الطبعة: الأولى، ١٤٣٠
٢٠-تفسير الراغب الأصفهاني المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ) تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني الناشر: كلية الآداب- جامعة طنطا الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م
٢١-تفسير القرآن العظيم المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) المحقق: محمد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ
٢٢-تفسير القرآن العظيم المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) المحقق: محمد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ
٢٣-تفسير القرآن الكريم (ابن القيم) المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) المحقق: مكتب

الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت
٢٤-تفسير القرآن المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩ هـ) المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ ١٩٩٧م
٢٥-التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج المؤلف: وهبة الزحيلي الناشر: دار الفكر (دمشق - سورية)، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان) الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م
٢٦-تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت ٧١٠هـ) حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م
٢٧-التفسير الوسيط للقرآن الكريم المؤلف: محمد سيد طنطاوي الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة الطبعة: الأولى
٢٨-تفسير مبهمات القرآن «الموسوم بصلة الجمع وعائد التذييل لموصول كتابي الإعلام والتكميل» المؤلف: أبو عبد الله محمد بن علي البلنسي (ت ٧٨٢ هـ) دراسة وتحقيق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م
٢٩-تفسير مقاتل بن سليمان المؤلف: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت ١٥٠هـ) المحقق: عبد الله محمود شحاته الناشر: دار إحياء التراث - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٣ هـ
٣٠-التيسير في التفسير المؤلف: نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي (٤٦١ - ٥٣٧ هـ) المحقق: ماهر أديب حبوش، وآخرون الناشر: دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، أسطنبول - تركيا الطبعة: الأولى، ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م
٣١-جامع البيان في تأويل القرآن المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث

والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

٣٢-الجامع لأحكام القرآن المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م

٣٣-الجواهر الحسان في تفسير القرآن المؤلف: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت ٨٧٥هـ) المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ

٣٤-الدر المصون في علوم الكتاب المكنون المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ) المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط الناشر: دار القلم، دمشق

٣٥-دَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفَارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت ٤٧١ هـ) دراسة وتحقيق: (الفاتحة والبقرة) وَليد بن أحمد بن صَالِح الحُسَيْن، (وشاركه في بقية الأجزاء): إياد عبد اللَطيف القيسي تنبيه: تحقيق (الفاتحة والبقرة) هو أطروحة الماجستير للمحقق الناشر: مجلة الحكمة، بريطانيا الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

٣٦-روح البيان المؤلف: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (ت ١١٢٧هـ) الناشر: دار الفكر – بيروت

٣٧-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ

٣٨-زاد المسير في علم التفسير المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ

٣٩-زهرة التفاسير المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت ١٣٩٤هـ) دار النشر: دار الفكر العربي
٤٠-السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير المؤلف: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت ٩٧٧هـ) الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) - القاهرة عام النشر: ١٢٨٥ هـ
٤١-عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦ هـ) المحقق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م
٤٢-غرائب التفسير وعجائب التأويل المؤلف: محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (ت نحو ٥٠٥هـ) دار النشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن - بيروت
٤٣-غرائب القرآن ورغائب الفرقان المؤلف: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ) المحقق: الشيخ زكريا عميرات الناشر: دار الكتب العلميه - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ
٤٤-غريب القرآن المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) المحقق: أحمد صقر الناشر: دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن الطبعة المصرية) السنة: ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م
٤٥-فتحُ البيان في مقاصد القرآن المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت ١٣٠٧هـ) عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنَّشْر، صَيدَا - بَيروت عام النشر: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م
٤٦-فتح القدير المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ) الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ
٤٧-فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) المؤلف: شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت ٧٤٣ هـ) مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج القسم الدراسي: د. جميل بني

عطا المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ-٢٠١٣ م

٤٨-كتاب تفسير القرآن المؤلف: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت ٣١٩ هـ) قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي حققه الدكتور: سعد بن محمد السعد دار النشر: دار المآثر – المدينة النبوية الطبعة: الأولى ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢ م

٤٩-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ

٥٠-كشف التنزيل في تحقيق المباحث والتأويل للحداد اليمني (ت ٨٠٠ هـ) المحقق: هشام بن عبد الكريم البدراني الموصلي الناشر: دار الكتاب الثقافي الأردن - إربد الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨ م

٥١-الكشف والبيان عن تفسير القرآن المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت ٤٢٧هـ) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م

٥٢-لباب التأويل في معاني التنزيل المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت ٧٤١هـ) تصحيح: محمد علي شاهين الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ

٥٣-اللباب في علوم الكتاب المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي (ت ٧٧٥هـ) المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ-١٩٩٨م

٥٤-لطائف الإشارات المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ) المحقق: إبراهيم البسيوني الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر الطبعة: الثالثة

٥٥-مجاز القرآن المؤلف: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (ت ٢٠٩هـ) المحقق: محمد فواد سزگين الناشر: مكتبة الخانجى - القاهرة الطبعة: ١٣٨١ هـ

٥٦-محاسن التأويل المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم القاسمي (ت ١٣٣٢هـ) المحقق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ
٥٧-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ
٥٨-مشكل إعراب القرآن المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني القرطبي المالكي (ت ٤٣٧هـ) المحقق: د. حاتم صالح الضامن الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٥
٥٩-معالم التنزيل في تفسير القرآن المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٠هـ) المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م
٦٠-معانى القرآن للأخفش المؤلف: أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (ت ٢١٥هـ) تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة الناشر: مكتبة الخانجي القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠م
٦١-معاني القرآن أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ) المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل شلبي الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة مصر ط: الأولى
٦٢-معاني القرآن المؤلف: أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (ت ٣٣٨ هـ) المحقق: محمد علي الصابوني الناشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة الطبعة: الأولى، ١٤٠٩
٦٣-معاني القرآن وإعرابه المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ) المحقق: عبد الجليل عبده شلبي الناشر: عالم الكتب - بيروت الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م عدد الأجزاء: ٥
٦٤-معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت

٩١١هـ) دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م
٦٥-مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي طبعة: دار إحياء التراث العربي بيروت الثالثة - ١٤٢٠ هـ
٦٦-المفردات في غريب القرآن المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ
٦٧- النكت في القرآن الكريم (في معاني القرآن الكريم وإعرابه) المؤلف: علي بن فَضَّال بن علي بن غالب المُجَاشِعِي القيرواني، أبو الحسن (ت ٤٧٩هـ) دراسة وتحقيق: د. عبد الله عبد القادر الطويل دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م
٦٨-النكت والعيون المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.
٦٩-نور البيان في أسرار فواتح القرآن للمؤلف . بحث منشور بحولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة جامعة الأزهر العدد الثلاثون سنة النشر ١٤٣٤ هـ ٢٠١٣هـ
٧٠-الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت ٤٣٧هـ) المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م
٧١-الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري (معتزلي) المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ) حققه وعلق عليه: محمد عثمان الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

٧٢-الوسيط في تفسير القرآن المجيد المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري (ت ٤٦٨هـ) تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، والدكتور أحمد محمد صيرة، والدكتور أحمد عبد الغني الجمل، والدكتور عبد الرحمن عويس قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان

ثالثاً : كتب الحديث الشريف

٧٣-التقاسيم والأنواع - صحيح ابن حبان المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جرح في ناقليها المؤلف: أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البُستي (ت ٣٥٤ هـ) المحقق: محمد علي سونمز، خالص آي دمير الناشر: دار ابن حزم - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

٧٤-الجامع الكبير (سنن الترمذي) المؤلف: أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: بشار عواد معروف الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت الطبعة: الأولى، ١٩٩٦ م

٧٥-جمع الجوامع المعروف بـ «الجامع الكبير» المؤلف: جلال الدين السيوطي (٩١١ هـ) المحقق: مختار إبراهيم الهائج - عبد الحميد محمد ندا - حسن عيسى عبد الظاهر الناشر: الأزهر الشريف، القاهرة - جمهورية مصر العربية الطبعة: الثانية، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

٧٦-الدعاء للطبراني المؤلف: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠ هـ) المحقق: مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٣

٧٧-الزهد المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ) وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

٧٨-سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط المؤلف: أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني (٢٠٩ - ٢٧٣ هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله الناشر: دار الرسالة العالمية الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

٧٩-سنن أبي داود المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (٢٠٢ - ٢٧٥ هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط - محمد كامل قره بللي الناشر: دار الرسالة العالمية الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م
٨٠-سنن الدارقطني المؤلف: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (ت ٣٨٥هـ) حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م
٨١-السنن الكبرى المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) المحقق: محمد عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م
٨٢-السنن الكبير المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (٣٨٤ - ٤٥٨ هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية - القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م
٨٣-سنن سعيد بن منصور (ت ٢٢٧ هـ) دراسة وتحقيق: د سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م
٨٤-شعب الإيمان المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٣٨٤ - ٤٥٨ هـ) المحقق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م
٨٥-صحيح ابن حبان المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جرح في ناقليها المؤلف: أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البُستي (ت ٣٥٤ هـ) المحقق: محمد علي سونمز، خالص آي دمير الناشر: دار ابن حزم - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م
٨٦-صحيح البخاري المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي المحقق: د. مصطفى ديب البغا الناشر: (دار ابن كثير، دار اليمامة) - دمشق الطبعة: الخامسة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م
٨٧-صحيح مسلم المؤلف: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ - ٢٦١ هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي

الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة(ثم صورته دار إحياء التراث العربي ببيروت، وغيرها) عام النشر: ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م

٨٨-عمل اليوم والليلة المؤلف: أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أسباط بن عبد الله بن إبراهيم بن بُدَيْح، الدِّيْنَوَرِيُّ، المعروف بـ «ابن السُّنِّي» (ت ٣٦٤هـ) المحقق: كوثر البرني الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن - جدة / بيروت

٨٩-المستدرك على الصحيحين المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري مع تضمينات: الذهبي في التلخيص والميزان والعراقي في أماليه والمناوي في فيض القدير وغيرهم دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١

٩٠-مسند الإمام أحمد بن حنبل المؤلف: الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة

٩١-المصنف: المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي (ت ٢٣٥ هـ) المحقق: سعد بن ناصر بن عبد العزيز أبو حبيب الشثري تقديم: ناصر بن عبد العزيز أبو حبيب الشثري الناشر: دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م

٩٢-المعجم الكبير المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ) المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة الطبعة: الثانية

٩٣-المنتقى شرح الموطإ المؤلف: أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (ت ٤٧٤هـ) الناشر: مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر الطبعة: الأولى، ١٣٣٢ هـ

رابعًا : كتب الفقه وأصوله

٩٤- إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ) المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق - كفر بطنا قدم له: الشيخ

خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور الناشر: دار الكتاب العربي الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

٩٥- أصول الفقه المؤلف: شمس الدين محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي (٧١٢ - ٧٦٣ هـ) حققه وعلق عليه وقدم له: الدكتور فهد بن محمد السَّدَحَان الناشر: مكتبة العبيكان الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

٩٦- التحبير شرح التحرير في أصول الفقه المؤلف: علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي (ت ٨٨٥ هـ) دراسة وتحقيق: د. عبد الرحمن الجبرين، د. عوض القرني، د. أحمد السراح أصل التحقيق: ٣ رسائل دكتوراة - قسم أصول الفقه في كلية الشريعة بالرياض الناشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

٩٧- التمهيد في أصول الفقه المؤلف: محفوظ بن أحمد بن الحسن أَبُو الخطاب الكَلْوَذَاني الحنبلي (٤٣٢ - ٥١٠ هـ) دراسة وتحقيق: جـ ١، ٢ (د مفيد محمد أبو عمشة)، جـ ٣، ٤ (د محمد بن علي بن إبراهيم) الناشر: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي- جامعة أم القرى، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م

٩٨- شرح [مختصر المنتهى الأصولي للإمام أبي عمرو عثمان ابن الحاجب المالكي (المتوفى ٦٤٦ هـ)] المؤلف: عضد الدين عبد الرحمن الإيجي (ت ٧٥٦ هـ) المحقق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م

٩٩- العدة في أصول الفقه المؤلف: القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين الفراء البغدادي الحنبلي (٣٨٠ - ٤٥٨ هـ) حققه وعلق عليه وخرج نصه: د أحمد بن علي بن سير المباركي الناشر: بدون ناشر الطبعة: الثانية ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

١٠٠-مجموع الفتاوى المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ) المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

١٠١-مفتاح الوصول إلى علم الأصول في شرح خلاصة الأصول المؤلف: الشيخ محمد الطيب الفاسي تقديم وتحقيق: الدكتور إدريس الفاسي الفهري الناشر: دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي - الإمارات العربية المتحدة الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م

خامساً : كتب اللغة والبلاغة

١٠٢-إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك المؤلف: برهان الدين إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (المتوفى ٧٦٧ هـ) المحقق: د. محمد بن عوض بن محمد السهلي قسم من هذا الكتاب: هو أطروحة دكتوراة للمحقق الناشر: أضواء السلف - الرياض الطبعة: الأولى، ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م.

١٠٣-أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك المؤلف: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت ٧٦١هـ) المحقق: يوسف الشيخ محمد البقاعي الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

١٠٤-الإيضاح في علوم البلاغة المؤلف: محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (ت ٧٣٩هـ) المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي الناشر: دار الجيل – بيروت

١٠٥-بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة المؤلف: عبد المتعال الصعيدي (ت ١٣٩١هـ) الناشر: مكتبة الآداب الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م

١٠٦-البلاغة العربية المؤلف: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

١٠٧-التبيان في إعراب القرآن المؤلف : أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى : ٦١٦هـ) المحقق : علي محمد البجاوي الناشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه .

١٠٨-جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت ١٣٦٢هـ) ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي الناشر: المكتبة العصرية، بيروت

١٠٩-الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز المؤلف: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ

١١٠-عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح المؤلف: أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (ت ٧٧٣ هـ) المحقق: الدكتور عبد الحميد هنداوي الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م

١١١-علم المعاني المؤلف: عبد العزيز عتيق (ت ١٣٩٦ هـ) الناشر: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

١١٢-من بلاغة القرآن المؤلف: أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (ت ١٣٨٤هـ) الناشر: نهضه مصر - القاهرة عام النشر: ٢٠٠٥م

١١٣-المنهاج الواضح للبلاغة المؤلف: حامد عونى الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث

سادساً : كتب المعاجم والتراجم

١١٤-التعريفات المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر الناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م

١١٥-تهذيب اللغة المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ) المحقق: محمد عوض مرعب الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م

١١٦-لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت ٧١١هـ) الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ

١١٧-المحكم والمحيط الأعظم المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ] المحقق: عبد الحميد هنداوي الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م ، ولسان العرب ٣٠٢/٧

١١٨-مختار الصحاح المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ) المحقق: يوسف الشيخ محمد الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م

١١٩-المخصص المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨هـ) المحقق: خليل إبراهم جفال الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م

١٢٠-المطلع على ألفاظ المقنع المؤلف: محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، أبو عبد الله، شمس الدين (ت ٧٠٩هـ) المحقق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م

١٢١-معجم لغة الفقهاء المؤلف: محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

١٢٢-النهاية في غريب الحديث والأثر المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

١٢٣-الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين - بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١	تقديـــم وفيه أهمية الموضوع وأسباب اختياره ، وخطة البحث، ومنهجي في كتابته .	٢٦٦
٢	الفصـــل الأول : خواتم خاصة بالمؤمنين ويشتمل على الأنواع الآتية: النوع الأول: تفصيل جملة المطلوب النوع الثاني: الدعاء النوع الثالث: الوصايا النوع الرابع: الفرائض النوع الخامس: الحث على العبادة	٢٧٣ ٢٧٥ ٢٨٠ ٢٩١ ٢٩٤ ٢٩٨
٣	الفصل الثاني : خواتم خاصة بالله تعالى ويشتمل على الأنواع الآتية: النوع الأول: التبجيل والتعظيم النوع الثاني: الوعد والوعيد النوع الثالث: التحميد النوع الرابع: التوحيد والتنزيه	٣٠٣ ٣٠٥ ٣٠٨ ٣١٢ ٣١٨
٤	الفصل الثالث : خواتم خاصة بالرسول ﷺ ويشتمل على الأنواع الآتية: النوع الأول: وصفه ومدحه ﷺ النوع الثاني: تسليته ﷺ النوع الثالث: الدفاع عنه ﷺ النوع الرابع: وصيته ﷺ	٣٢٥ ٣٢٧ ٣٣٣ ٣٤٠ ٣٤٥
٥	الفصل الرابع : خواتم خاصة بالقرآن ويشتمل على النوعين الآتيين: النوع الأول: وصف القرآن الكريم ومدحه النوع الثاني: الحكمة من إنزاله	٣٥٣ ٣٥٥ ٣٦١
٦	خـــاتمـــة	٣٦٧
٧	فهرس المصادر والمراجع	٣٦٩
٨	فهرس الموضـوعـــات	٣٨٥